OK
800/1914

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات — قسم اللغة والأدب العربي

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المكتبة المركزية
المركز الجامعي ميلة
1333

العالم الآخر دراسة جيوميتافيزيقية
بين ملحمة جلجامش و كتاب الموتى الفرعوني

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ليسانس، في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي

إعداد الطلبة:
- نجاة شباح.
- عرجونة شايب.
- نسيمة بن لزرق.

إشراف الأستاذ:
- بن الديب منير.

السنة الجامعية: 2012/2011

دعاء

اللّهم أخرجنا من ظلمات الوهم و أكرمنا بنور الفهم و افتح علينا بمعرفة العلم و سهل أخلاقنا بالحلم، اللهم أكرمنا بالتقوى وجملنا بالعافية و اجعلنا ممن هدى و اهتدى يارب العالمين، اللهم لاسهل إلاّ ما جعلته سهلا و تجعل الحزن إن شئت سهلا ،

اللّهم إنا نعود بك أن نتكلف ما لا نعلم كما نعود بك من العجب في ما نعلم، و نستغفرك في ما لا نعلم فإنك تعلم و لا نعلم و أنت علام الغيوب.

اللهم إنا نسألك الإخلاص في القول و العمل يا رب آمين.

اللّهم اشرح لي صدري و يسر لي أمري و احلل عقدة من لساني يفقه قولي.

اللّهم ارزقني فهم النبيين و حفظ الملائكة المقربين.

اللّهم افتح علينا فتوح العارفين، آمين.

أخي لن تنال العلم إلا بستة سانبيك عنها ببيان

بحرص و ذكاء و اجتهاد و بلغة و صحبة أستاذ و طول زمان.

شكر وعرفان

انه لمن شيم الكرام الاعتراف بشيم الأكرمين حتى إن كان استفاء حق الأستاذ من الخيال ، وتماشيا مع ما جرت عليه العادة فإننا نقدم حصيلة مجهودنا المتواضع إلى كل من أنار دربنا في طلب العلم والمعرفة وساعدنا في انجاز هذا العمل من قريب أم من بعيد واخص بالذكر استأذنا المشرف" منير بن الديب" بما بذله من جهد وتنقيح ومراجعة وتصحيح لموضوع البحث ، نشكر له صبره علينا .

مقدمة

مقدمـــــة :

المجتمع العربي بشكل خاص على اتصال دائم و قديم لمن حولهم من شعوب و أمم وأن هذه الصلة تفهم من خلال اعماق التاريخ على إمتداد عصوره و تبدل أطواره و لابد لنا من إستيعاب هذا الماضي من خلال الإرث الأسطوري . لأن كل الحضارات منذ ما قبل التاريخ. تركوا أثار المعتقدات حول وجود حياة ما بعد الموت ولكل مفهومه عن الخلود . الروح مكافاة الأرواح . و معنى الحياة. و بذالك . فاعتقاد و دوام الروح و احترام الموتى هما في صميم الطقوس الجنائزية.فعدة فلاسفة ولاهوت طوروا نظريات لاثبات وجود الروح وخلودها او دوامها . فافلاطون في كتابه "فيدون" قدم خمسة براهين :

1- **بالتضاد** : يولد الاحياء من الاموات مما يعني وجود الروح بعد الموت .
2- عن طريق التذكر : فالروح موجودة قبل وصولها للجسد (في اجساد اخرى) ، وهذا ما تعلمته في زمن سابق وتتذكره.
3- **عن طريق التقارب** : فالروح قريبة من الالهة وكل ماهو رباني فهو خالد بعد الموت تذهب الروح الى شبيهها الرب الخالد .
4- **عن طريق التناغم** :فالجسد لا يحيا الا بمزيج مركب من خصائص متضادة :جسد وحياة اي روح.
5- **بالكنه:** فمن طبيعة الروح الخلود وعدم الانحلال ، التحليل العقلي يقارب الظاهرة باخر مشابهة لها نوم واستقاظ ، شتاء وربيع . وحتى دفن الاجساد يذكرنا بزرع البذور.

كما ان الاسطورة في الادب لم تكتسب مشروعيتها التاريخية والمعرفية الا في ظل النظريات المعاصرة في الادب والنقد تلك النظريات التي اكتشفت في فضاء اتها النفسية المتنوعة من بدايتها والتعمق والتوغل في عوالمها المتنوعة، سواء التراثية او التاريخية او التاويلية او الرمزية وفي مستوياتها الدلالية(الاجتماعية والسياسية والشعبية).وضوء هذه المعطيات الجديدة ، اتسعت دائرة الاهتمام بالاسطورة الادبية لتتجاوز الدراسات الادبية والنقدية الى حقول معرفية اخرى كعلم النفس وعلم الاجتماع الانثربولوجيا والتاريخ والدين وهذا حتى يصبح للاسطورة موقعا اكاديميا متميزا في بعض الجامعات من خلال بعض

معاهد علم الاجتماع والانثربولوجيا والتاريخ وذلك من خلال دراسة البعد التاريخي والديني والجغرافي لكل البلدان اليونانية والعربية بوجه خاص ولعل اهمية الموضوع تتمثل في شقين : الاشق العام وهو التراث الاسطوري . فهذا المجال لا يزال جديدا من حيث الجمع والتصنيف والدراسة على حين ثمة شيء من الاهتمام باجناس ادبية اخرى : كالحكايات والامثال ، والشعر الشفوي، والامم البدائية بمعتقداتها وقيمها وادواقها وعاداتها وتقاليدها وهذا المخزون الاسطوري الموروث ، سجل حضوره القوي في ماضي الامة ولا يزال يمارس هذا الحضور الى يومنا بتوارث الاجيال في الدراسة والتعليم اما الدافع الثاني المتعلق بهذا الموضوع فيتمثل في التوسع والتعمق والتفصيل في الاساطير الدينية السائدة في كل بلد وكيفية الحساب والعقاب في الحياة الابدية وكيفية ولادة الالهة وتقديسها عند البشر.

كما تتل الاسطورة عنصرا مهما لا يمكن عزله عن التاريخ الانساني عن ثقافة الانسان فهي تعبر عن الروح الذتية في كافة الحضارات ولان عالمها يزخر بالقيم الانسانية العالية والعبر الفريدة التي يستفاد منها في مجالات كثيرة كالأخلاق واراء الناس حول الموت والحياة وتكشف أسلوب تفكير الجنس البشري و تساعدنا على معرفة طريقة حياته.

والأسطورة مظهر يمثل الإنسان وهو يحاول تنظيم حياته في وجوده الغامض وهي أساس للثقافات في كافة المستويات وإننا اقرب ما نكون نتاجا لأساطيرنا لا لمزايا العقلية الموروثة لان الأسطورة تحيط بنا من كل جانب حتى لتنفد الى صميم قراراتنا الأخلاقية وعلى الرغم من احتوائها على عنصر الخرافة وتعاملها مع الوقائع الخارقة والمستحيلة فهي أكثر فعالية في وصف الوضع الإنساني لاقترابها من أغوار النفس البشرية كما تمثل أول المراحل التفكير الفلسفي تنشا نتيجة التأمل في ظواهر الكون وعلاقة هذه الظواهر بحياة الإنسان على الأرض واهتم الإنسان بتشخيصها بوصفها المصدر الأول للظواهر الكونية والمتمثلة لها في الأسطورة بهذا المعنى هي الوسيلة التي حاول الإنسان القديم من خلالها أن يفكر لتحميه من الخوف والقلق .

وقد اختلف العلماء والمؤرخون والباحثون في تفسير نشأة الأساطير ووفقا لذلك فان الناس الذين عاشوا في زمن سحيق كانوا ينقلون شفاها إلى أجيالهم حيث لم يكن هناك تاريخ مدون – إحداثا ترتبط بتاريخهم بطريقة تميل اللى الرمز والتمثيل وتبعا لذلك سوف تختلف باختلاف الأمم والشعوب.

فالأسطورة هي حصيلة الفكر البشري عبر ألاف السنين ولان الأسطورة هي اقوي شاهد على عبقرية الإنسان كما أنها تعبر عن الحقائق التارخية والاجتماعية والثقافية والطبيعية والانثروبولوجية والجغرافية فهي نظرية وعملية في الوقت نفسه .

ويعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع دون غيره وحبنا لكل ماهو تراثي وماهو اسطوري وحضاري لنتعرف على نظرة من سبقونا الى العالم الاخر وكيف نظر اليه فهو ينبع من حضارتنا الشرقية العريقة في كل من مصر والعراق .

يطرح موضوعنا مجموع اشكاليات ابرزها :

- هل العالم الاخر مرتبط بالخلود؟
- هل الخلود يكون للالهة ام للبشر؟
- كيف كانت نظرة كلتا الحضارتين للخلود ؟
- هل تعد ملحمة جلجامش وكتاب الموتى الفرعوني هما الجواب الاخير عن الرؤيا للعالم الاخر؟
- هل يعد الفكر الاسطوري اجابة واقية كافية للاحاطة بغيبيات العالم الاخر؟
- هل العام الاخر والخلود نفسه؟
- هل يعد العالم الاخر طقس ديني ام رمزي؟

وقد اعتمدنا اكثر من منهج بيدا أن المنهج الأساسي الذي أعتمدناه في الفصلين الأول والثاني هو المنهج التاريخي الذي يقوم على تقصي الظاهرة المعنية بالدراسة وذلك بجمع العناصر والمكونات والحيثيات وملابسات كل ملحمة ، كما اعتدنا المنهج التحليلي الذي يقوم على تحليل بعض الشخصيات (جلجامش)و اله حساب الموتى (ايزوريس في مصر) ومحاولة استخلاص بعض النتائج او بعض الحقائق بشانهما ، والمنهج المقارن الذي يقوم على مقارنة النصوص بعضها ببعض.

وقد أعتمدنا خطة وهي :

الفصل الأول :إلى ملحمة جلجامش وصديقه انكيدو وكيفية مصارعة الموت بالخلود.

أما الفصل الثاني : تطرقنا فيه الى كتاب الموتى وسر الخلود لديهم وكيفية محاسبة موتاهم.

أما الفصل الثالث والأخير : فقد كان فصلا تطبيقيا ركزنا فيه على المقارنة بين ملحمة جلجامش وكتاب الموتى الفرعوني.

وقد درس هذا الموضوع في عدة كتب أبرزها:

ملحمة جلجامش وكتاب الدين المصري ، والتحنيط لدى قدماء المصريين.

أبرز الصعوبات التي أعترضت طريقنا في هذا البحث تتمثل في قلة المصادر والمراجع الخاصة بهذا الموضوع وهذا ما اضطرنا الى جمع المعلومات من جامعات عديدة ومراكز مختلفة ولضيق الوقت بالنسبة لحجم موضوعنا وكذا انعدام الكتب المتعلقة بالموضوع بمركزنا الجامعي "بميلة"، ولكن ورغم هذا تمكنا بعون الله من تجاوز هذه العقبة من خلال تكييف الاستاذ لخطة البحث على نحو يسمح لنا من بالاستفادة من عدة مراجع تنتمي إلى حقول معرفية مختلفة للاسطورة :ملحمة جلجامش الى جانب بعض الكتب العامة ومجموعة من الموسوعات ومواقع الانترنت ، كما قمنا بتصوير بعض النسخ التي نحتاجها بكثرة.

والوقت لم يمنحنا لكي نكتب المزيد وما بقي خفيا كان أعظم ولقد خاننا القلم وخانتنا الأنامل كي نشف كل تلك الحجوب وقد أعترانا القلق والخوف الفكري والمنهجي كي نصل إلى الأدب فيها عن الآخرة ، أو من الدين والفلسفة والأساطير؟ وهل أستطعنا في مثل هذه الأعمال أن نفصل بين الأدب والفلسفة والدين للوصول إلى الهدف المنشود؟ هذه الأزمنة دفعت بنا إلى مواصلة البحث أكثر فأكثر فذهبنا نبحث ونقلب في المؤلفات التي تناولناها فوجدنا فيها الكثير من الحديث عن الوجوه مقارنية إذ تحدثنا عنهما معا أو نقف منهما موقف الدراسة إذ تحدثنا عن عمل دون آخرلا نريد أن ندرس ملحمة جلجامش وحرصا ولا نريد أن ندرس كتاب الموتى وحده كونهما يمثلان الظاهرة الاسكتولوجية أو الظاهرة الأخراوية جميعها لكي يتصهر العملين في نظام تصويري خيالي وفريد ، ولقد لازمنا الخوف في تحديد عنوان لهذا البحث ، كما لازمنا في الوصول الى المنهج ، والحقيقة أن اللازمتين مشتركتان فالقلق الذي بعثه التساؤل الأول إنما كان الثقة في الوصول الى كيفية معلومة أجمع فيها متفرقات هذا البحث ، قد غابت و بغيابها حضر الإضطراب ولولا اهتدى بي أخيرا إلى تموضع مناسب للبحث حدده العنوان و من ذلك تحدد المنهج، وتعينت لي الطرقة و بدت الملامح الكبرى لمعالجة الظاهرة . أن الحديث عن سكتولوجيا من خلال ملحمة جلجامش و كتاب الموتى الفرعوني هي خطة تحصر العمليتين في ظاهرة أو هي خطة تدريس الظاهرة و تجليتها في العملين .

مدخـــــل:

تحتل فكرة أو معتقدات الجزاء و ترتيباتها،المتصلة بالموت و الحياة و الدار الآخرة خيرا واسعا في التفكير الفلسفي الديني، و في مراحل ممتدة من أعماق التاريخ، حيث شغل الاعتقاد بالدار الآخرة فكر الكثير من حكماء العهد القديم فيما سمي بالولادة الجديدة[1]، و أن الاعتقاد بالولادة الثانية متميز عن الاعتقاد العام بالتكرر[2]، فنظام الكون (الهي) قائم على العدل المحض، و أن العدل الكوني قضى بالجزاء لكل عمل، و أن في الطبيعة نوعا من النظام لا يترك صغيرة ولا كبيرة من أعمال الناس بدون إحصاء، و بعد إحصائها ينال كل شخص جزاءه من عمله[3].

أن فكرة الحساب في نهاية المطاف قد راودت الإنسان و رافقت حياته مند القديم، و قد ارتبط هدا الموقف بفكرته عن الآلهة،ثم فكرته عن الخطيئة.

و يذكر الأثري الفرنسي"جورج كونتينيو"بصدد ذلك: ان الفكرة البابلية عن الخطيئة _في نواح معينة–كانت مألوفة في كل دين ... وأن معرفتنا عن الموضوع لم تأت عن قوائم الخطيئات الشاملة ، بل من كتب الاعترافات التي عددت فيها الخطايا .

"... وفي مصر وحيث كان الاعتراف مطلوب في الحساب الأعظم بعد الموت، فإن المؤمن يسلم بدور مضاعف، فيطلب من نفسه ألا تغرق بالذنوب أمام الآلهة، وأن المصري كان يقدم اعترافه باستعمال صيغة النفي، فهو يقول:"لم أفعل هدا أو ذاك " لم أفعل شيئا يكرهه الإله"."لم أحاب أي إنسان ضد سيده، ولم أترك أي إنسان خائفا، لم أقض على حياة في مدينتي قط لم ارتكب فاحشة

---

[1] – مهدي البصري ،موسوعة الأديان ،دار أسامة للنشر و التوزيع الأردن _عمان_ط 2، 2003،ص75

[2] – جورج كونتينيو ،ترجمة:سليم طه التكريتي،برهان عبد التكريتي، الحياة اليومية في بلاد بابل و آشور_ _دار الشؤون الثقافية،بغداد،الطبعة الثانية 1987،ص448،447

[3] – حكمة الأديان الحية_ص120

في المكان المقدس لإله مدينتي قط، لم أنقص كيل الحبوب قط، لم أسد مجرى الماء الجاري قط... [1]" أما في بلاد الرافدين كان الاعتراف أمرا شاقا، فلم يكن على المذنب أن يعترف بكل الخطايا التي لم يعلم أنه قد ارتكبها حسب، بل عليه أن يتلو بعض الخطايا الإضافية التي يمكنه أن يفكر فيها خشية أن يكون بعضها في خطاياه الخاصة التي ارتكبها عرض أو دون وعي، و كان الاعتراف عن طريق وكالة الكاهن بسبب عدم قدرة التائب على إعطاء نفسه الغفران[2]، وشبه ذلك كما يبدو ماعرف بعدئذ "التعميد"حيث كان يوحنا المعمدان يمارس هذه المهمة زمن السيد المسيح عليه السلام وكان يقول:"انا اعمدكم بالماء من أجل التوبة وأما الذي يجيئ بعدي فهو يعمدكم بالروح القدس و النار"

ومن الواضح أن السياق المبدئي للأديان السماوية منطلق من اعتبار "الله" كأصل للخلق والوجود، وترتبط بهذا المحور الحيوي مسألة الصلة بين حياة الإنسان في دنياه وآخرته والتي بقدر منها أيضا الأديان غير السماوية[3]_كما سنلاحظ_أن أعظم المظاهر الدينية التي ظلت متماسكة طيلة التاريخ المصري القديم والتي تبلورت أسسها في المملكة القديمة هي الطقوس والعقائد والأساطير الجنائزية والتي تعبرعن الأسكاتولوجيا المصرية، القديمة خير تعبير[4].حيث تعد أسطورة اوزيريس أهم الأساطير المصرية والتي جاءت عن طريق، الإغريق أما الوثائق المصرية فتشير في نصوصها الدينية في هيأة شعائر وروايات وأن هذه الأساطير نشأت من شجرة نسب حورس ومن فعلين موت الملك وتحوله إلى اوزيريس وتنصيب ابنه على العرش بما يعينه من تأليه الولد على الأرض في هيأة حورس وأن هذه الأسطورة هي قصة الابن

---

[1] - مهدي البصري، موسوعة الأديان،د. دار أسامة للنشر و التوزيع الأردن،عمان ط2، 2003 ص75_76

[2] -موسوعة الاديان في العالم المجلد الثاني ص 94

[3] - المرجع نفسه ص13

4- خزعل الماجدي، الدين المصري،الطبعة العربية الاولى،الاصدار الاول 1999 ص13

المنتقم لأبيه[1].ازوريس اله عالم الموتى وأصبح يرعى الحياة بعد الموت بكل تفاصيلها وأظهرت كتابات الأهرامات كما هائلا من العبارات و الأشعار السحرية التي تعطى للموتى "وتظهر هذه الكتابات لأول مرة على جدران هرم أوناس وظلت تستخدم على جدران جميع أهرامات السلالة السادسة بعذ ذلك. وترقى العبارات السحرية هذه إلى عصور مختلفة فبعضها يرقى دون شك إلى عصر ماقبل السلالات حيث أنها تذكر أحيانا بعض الأحداث السياسية الخاصة بذلك العصر ،ويمكن ملاحظة تقليدين جنائزيين في كتابات الأهرامات،أحدهما لابد أنه يرجع باصوله إلى أصل كهانة معبد هيلوبوليس حيث يلعب فيه الاله الدور الرئيسي في حين يعطي الأخر المركز الأول لاله العالم السفلي أوزريس[2]،وقد أخد العديد من العبارات السحرية الواردة في كتابات الأهرامات لتظهر في نصوص توابيت المملكة الوسطى ثم انتقلت إلى عهد المملكة الحديثة إلى ما يعرف عادة بكتاب الأموات . [3]

أما بخصوص ملحمة جلجامش فهي أقدم ملحمة عرفها العالم بكل حضاراته القديمة ولم تسبقها ملحمة أخرى مما نعرف،فقد كتبت في أوائل الألف الثاني ق م،على ألواح طينية عدتها أثنى عشر لوحا في كل واحد منها ستة أعمدة أو ستة حقول،[4]أما كتابتها فهي بالخط المسماري و سميت كذلك لشدة شبه صور حروفه الهجائية بالمسامير ويعود الفضل في تدوين الملحمة على ألواحها الطينية للملك الأشوري (آشار)أشوربانيبال(باني بعل) الذي حكم الامبراطورية الأشورية وعاصمتها نينوي بشمال العراق [وتعرف نينوي اليوم بالموصل]حيث كان حكمه على الإمبراطورية من سنة688 حتى 626 ق م،[وكان هذا الملك مولعا بثقافة بلده وحضارته،

1- كريمر صموئيل نوح،أساطير العالم القديم ص54
2 - خزعل الماجدي، الدين المصري الطبعة العربية الاولى الاصدار الاول 1999 ص31
3- -بوتيرور فيركوتر ص186 ص32
4 – محمد نيل نوفل وفاروق حافظ القاضي دار المعارف، مصر 1970

ومعتزا بهما[فكان من آيات ذلك أنه]أحسن ما يكون الإعتزاز، فكان من آيات ذلك أنه"أرسل اتباعه ليفحصوا سجلات مراكز العلم القديمة في بابل وأوروك ونيبور،ولينسخوا ويترجموا الى اللغة السامية الأكدية المعاصرة تلك النصوص التي كانت مكتوبة باللغة السومرية..." [1] فكان من بين النصوص التي ترجمت عن لغتها الأصلية _أعني السومرية-ملحمتنا هذه وحفظت ألواح الملحمة في مكتبة قصر آشور بانبال[باني بعل]الى جانب آلاف الألواح التي كانت فيها،ثم دار الزمن دورته ألفين وخميمائة من السنين وأرض نينوي تضم أحشائها على كنوز آشور الخالدة التي لم يكن أحد نفاسه ما تضم حتى مجيء القرن التاسع عشر الميلادي يوم بدأ شاب إنكليزي اسمه أوستن هنري لايار

Austin Henry layard تنقيباته في نينوي عام 1839، ثم جاء بعده شريكه وخليفته راسام Rassam فكشف"في عام 1853 ذلك الجزء من المكتبة الذي كانت به الألواح الخاصة بالدراسة الأشورية المقارنة لملحمة كلكامش"[2]

ولكن لم ينتبه العالم الى أهمية هذه الألواح إلا في سنة 1972 يوم القى جورج سمث George smith وكان ذلك في كانون الأول [ديسمبر]من السنة محاضرة في الجمعية الأثارية للتوراة بلندن أعلن فيها أنه أكتشف رواية آشورية عن طوفان، وكان يعني بهذه الرواية اللوح الحادي عشرمن الملحمة[3]. فكان ذلك الحديث فاتحة اهتمام العالم بها فترجمت الى أهم لغاته، حتى إنها مترجمة اليوم"الالمانية، والانجليزية،والفرنسية، والروسية،والإيطالية، والجيكية،والهولندية،

---

[1] -انظر الاستاد طه باقر ملحمة جلجامش 57 ط4 دار الحرية للطباعة بغداد 1980 منشورات وزارة الثقافة و الاعلام العراقية ، المؤلف نفسه-مقدمة في ادب العراق القديم:103،دار الحرية للطباعة بغداد،1976 (منشورات كلية الاداب-جامعة بغداد).

[2] - المرجع السابق ص10 11

[3] -المرجع السابق ص 11 وطه باقر ملحمة 58

الدنمركية والفنلندية، وحتى العبرية الحديثة ".ولم تكن كل تلك الترجمات على مايبدو نابعة من كونها اثرا تاريخيا فحسب،وإنما باعتبارها أثرا أدبيا مايزال يحتفظ بقيمته الجمالية الأخاذة رغم مرور اربعين قرنا عليه،مما يجعله من خوالد الآداب الإنسانية في العالم. [1]

[1] – طه باقر ملحمة كلكامش، ص64

الفصل الأول

وصف العالم الآخر في ملحمة جلجامش

الفصـــل الأول: وصف العالم الأخر في ملحمة جلجامش.

إن اللوح الثاني عشر من مجموعة الألواح الإثني عشر المسماة "سلسلة جلجامش"لايمت بصلة في حوادثه إلى مادة الملحمة،ولكنه أدمج فيها دمجا اصطناعيا،ولعل المناسبة أوالصلة في ذلك أنه بعد أن عاد جلجامش خائبا من نيل الخلود صار شغله الشاغل التفكير بمصيره في عالم بعد الموت فجاء وصف ذلك العالم وهو موضوع اللوح الثاني عشر،و حال الموتى فيه باستفادة حادثة نزول صديقه"أنكيدو"إلى ذلك العالم، محققا لسان حاله. [1]

لوجاء من أجل البلى مخبر سألت عن قوم وأرخـــــت

هل فاز بالجنة عـــــمالها أوصل ثوى بالنار نونجت[2]

ومما يقال بوجه الإجمال أن هذا اللوح يكاد يكون ترجمة بابلية حرفية لأصل سومري يدور على الأعمال البطولية المنسوبة إلى جلجامش وصديقه"أنكيدو"،ولاسيما قصة نزول "أنكيدو"إلى عالم الموتى أوعالم العالم الأسفل، ولكن يوجد نقص يناهز نحو إثني عشر سطر من أول هذا اللوح وقد أصبح من المرجع أن هذه الأسطر المخرومة تحتوي على نفس المادة الموجودة في الأصل السومري. [3] الذي تبدأ حوادثه من زمن الخليقة بعد انفصال السماء عن الأرض وخلق البشر وبعد أن تقاسم الألهة العظام أجزاء الكون و مسؤولياتها واختص كل منهم بجزء منه، حدث في تلك الأزمان أن شجرة إسمها بالبابلية حلبو Huluppu لعلها الصفصاف[أي الخلاف العربية] قد اقتلعتها الريح الجنوبية وجرفها نهر الفرات، وحين أوصلها التيار الى

---

[1] –طه باقر ملحمة كلكامش تقديم محمد حسين الاعرجي صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007،ص113

[2] –ابو العلاء المعري

[3] –انظر الأصل السومري في S.N.kramel grpgansh and the huluppu tree

مدينة"أوروك"، رأتها الآلهة "أنانا"[منشار البابلية] حينما كانت تتمشى على ضفاف النهر فانتشلتها من الماء وأخذتها إلى بستانها المقدسة في[أوروك] وتعهدتها بالرعاية لتصنع من خشبها سريرا وكرسيا لها.ولكن لما كبرت الشجرة لم تستطع "أنانا"أن تحقق ذلك الغرض لأن ثعبانا اتخذ أسفلها مأوى له كما اتخذ أعلاها طير الصاعقة "زر"عشا لصغاره واتخذت وسطها الشيطانة "ليلث" مأوى لها فحزنت "إنانا"[عشتار]المادل شجرتها ولما سمع جلجامش بمحنتها خف لنجدتها وهجم على الثعبان فدبحه كما فر طير الصاعقة ومثل ذلك فعلت الجنية"ليلث"ثم عمد جلجامش ومعه رجال"أوروك"على قطع الشجرة وتسليمها إلى عشتار لتصنع منها السرير والكرسي،وبالإضافة إلى ذلك صنعت عشتار من القسم السفلي من الشجرة ومن قسمها العلوي آليتين غريبتين ما أمكن ترجمتهما،و إسم أولاهما"يكو"والثانية"مكو" [1]أهدتهما إلى جلجامش،ولكن حدث سوء الحظ إن هاتين االآلتين متعطتا في أحد الأيام في العالم الأسفل،ولم يستطع استعادتهما من ذلك العالم فحزن حزنا عظيما بحيث صار يندبهما.

والى هنا ينتهي النص السومري، ولكن يبدأ نص اللوح الثاني عشر من ألواح سلسلة جلجامش ويبدأ هذا اللوح [من بعد انخرام 12 سطر منه] بحزن جلجامش على فقدان آلتيه ال"يكو"وال"مكو" فتطوع صديقه"أنكيدو" مجدية بأن نزل[إلى العالم الأسفل لجلب شبك الآلتين، وهنا نجد جلجامش يحاور"انكيدو"ويرشده إلى ما ينبغي له أن يسلك في ذلك العالم:

"إذاعتزمت النزول إلى العالم الأسفل"

فسأقول لك كلمتي فاتبع كلمتي

---

[1] - ترجم بعض الباحثين هاتين الآليتين بالطبل ومدق الطبل انظر: alexancler keicle ;p.95

سأرشدك فسر وفق ارشادي"[1]

.....

ولكن"أنكيدو"لم يأخذ بنصح سيده"جلجامش" بل سار على عكس الوصايا التي أوصاه بها فلبس حلة فاخرة ومسح جسمه بالزيت الطيب فتجمع حوله سكان العالم الأسفل، وقدف بالعصا فأحاط به من أصابهم، وأخذ معه عصا فارتجفت الأرواح قدامه، ولبس الحق بقدميه وأحدث صوتا في العالم الأسفل، وقبل المرأة التي أحب وضرب المرأة التي أبغض وقبل الابن الذي أحب وضرب الابن الذي كره، فغلبه صراخ العالم الأسفل وعويله.

ولهذا قررت ملكة العالم الأسفل بأن لا تخرج انكيدو من ذلك العالم لأن سنة ذلك العالم أن من دخله لا يرجع منه[2]، فصارجلجامش يندبه ويبكيه، وقصد معبد الاله "أنليل"في مدينة"نفره"المسمى[إي-كور]وبث شكواه وتضرعه الى الاله"انليل"من ضياع ألية"يكو"وال"مكو"في العالم الأسفل،وكيف أمسك هذا العالم بصديقه"أنكيدو"الذي نزل إليه ليرجعهما له،ولكن الإله"أنليل"لم يسعفه وذهب الى مدينته"أور"وقصد معبد إلهها"سين" وشكا اليه حاله والتمس عونه ، فلم يستجب له هذا الاله فقصد معبد الاله "أيا "المسمى"إي_أسيو" في مدينة"أريدو"وطلب منه العون فاستجاب له بأن طلب من إله العالم الأسفل"نرجال"أن يحدث فتحة صغيرة من العالم الأسفل حتى تخرج منه روح"أنكيدو"وتخبر صديقه جلجامش بأحوال ذلك العالم، ففعل"نرجال ذلك، فخرجت روح ألكيدو أوشبحه كأنها هبة ريح فتعانقا الصديقان وأخذ جلجامش يسأل شبح صديقه:

---

[1] – طه باقر ، ملحمة كلكامش،تقديم محمد حسين الاعرجي ،صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة الجائر عاصمة الثقافة العربية 2007،ص115

[2] –يشير إلى ذلك اسم العالم الأسفل باللغة السومرية: (kur-nu-gi) باللغة البابلية(أرصفة لاتاري، أي الأرض في رجفة منها

"أخبرني يا صديقي عن أحوال العالم الأسفل الذي رأيت"

فأجابه صديقه:

لن أقص عليك أخبار العالم الأسفل يا صديقي

وإذا كان لابد من اخبارك فعليك أن تجلس وتبكي

فأجابه جلجامش:"سأجلس وأبكي"

فأخد شبح أنكيدو يشرح له الصور القائمة التي وجدها في العالم الأسفل[1]

"إن جسمي الذي كنت تلمسه يوم كان قلبك تغمره الأفراح،

يلتهمه الدود الأن كما لو كان لباسا خلقا"

فصرخ جلجامش ياويلتاه وتمرغ في التراب ويواصل مخاطبة شبح ألكيدو مسؤاله عن الذي قتل في المعركة،و الذي ترك جثمانه في البرية،و الذي مات ولا ولد له[2] ثم يسأله عن الذي خلف ستة وسبعة وثمانية ولكن ينخرم النص في الإجابة فلا يعلم حالهم في عالم الأموات ولكن بالقياس الاقاعدة أن كثرة الأولاد ومدعاة لوفاة الميت ثم يسأله عن حالات غير معروفة لانخرام النص أيضا وأوضحها التي ترجمناها مثل سؤاله عن الذي قتل في المعركة حيث شاهد بصحبة أبويه،ولكن زوجته تبكي عليه،وسأله عن الذي لم يدفن فأجابه أن روحه لاقرار لها في عالم

---

[1] – طه باقر، ملحمة كلكامش ،تقديم محمد حسين الاعرجي ،صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007ن ص 117

[2] – طه باقر، ملحمة كلكامش ،تقديم محمد حسين الاعرجي ،صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007ن ص118

الاموات،وسأله عن الذي لا يقرب له أحد من بعد موته فأجابه بأنه يأكل الفضلات التي ترمى في المزابل. [1]

فالحياة بكل بهرجتها ورونقها وبكل مغرياتها ماهي الا نعم زائلة،فكل هذا النعيم يقابله ذلك المجهول اللامرئي ألاوهوالموت الذي يتربص بنا بين الفنية و الأخرى لكي يأخدنا معه الى عالم يكتنفه الغموض والضبابية إلى عالم يشعرنا بالقشعريرة عندما نتلفظ به أو تناجي به أنفسنا،عالم لا مفر منه يبعث فينا الأسى والحزن يقتنص منا اللحظات السعيدة ويذهب بنا الى غيبية المكان و الزمان وحتى غيبية الحياة يأخدنا من النور الى الظلام من الأزمة المتحركة الى الأزمة الثابتة من نبضات الحياة إلى صعقات الموت،تدرف الدموع تلو الدموع على عالم نسير اليه مضطرين لا نعرفه بعدما تنتهي رحلتنا الفجائية التي لا موعدلها.فلا نستطيع إلا عدم التفكير فيه لأنه مصيرنا جميعا أيا كنا،وإن لابد في هذه الحياة من مجابهة هذا الشكل أو ذاك من خلال من نعرف أونحب ممن هم بصفة منا وان نجابهه كمصير حتم.وعلى مر الأجيال كانت مأساة الضمير الإنساني تتمحور حول المضمون السرائي للموت كبوابه تتصل حياتنا من خلالها بالأبدية.

---

[1] – المرجع نفسه ،ص119

1- سر الخلود عند جلجامش و سعيه وراء الخلود :

لقد أثبتت عدة دراسات ميثولوجية أثار الأساطير التي تركها الفكر البدائي في أطوارها الأولى التي لازالت عالقة بعقل الإنسان [القديم]الحديث،والأكثر من هذا أن البنية الأساسية لبعض الأفكار التي يحملها هذا الإنسان لا تخلو من صورها ومعانيها رغم اكتشافه أن لا أساس لها في الحياة الواقعية.

أما الإنسان الذي عاش في عصور موغلة في القدم،فقد وجد نفسه بين أحضان الطبيعة تحمله الأرض وتتراءى له السماء بشمسها وقمرها وكواكبها الأخرى.

ولما كانت السماء بعيدة عنه، والأرض توفر له الغذاء والماء والهواء،وكهوفها ومغاورها وبعض الوسائل الأخرى توفر له الحماية من الوحوش والحر والبرد...

ورغم هذا كان الموت يباغته والجسد يبلى ويتحول إلى جزء من تربة الأرض التي تحمله.

ومن فكره وملاحظة ما يرى ويسمع وتجربته الحياتية راح يبحث عن أسباب الموت ليتحاشاها ولو لحين وينقب عن أسرار الحياة والكون والوجود مستعينا بعملية الملاحظة والمقارنة والاستنتاج والخيال الجامع،عله يظفر باكتشاف الحقائق التي يبحث عنها،والتي تراود فكره على الدوام،لما لها من علاقة بمصيره في الحياة ومن بينها الموت الذي سيسلبه الحياة في يوم ما،مثل مافعل بغيره على مرآ ومسمع منه،وان الموت سيرمي به في هوة العدم التي لا خروج منها وكان ،وكان يتساءل باستمرار،هل هناك حياة جديدة سيعيشها؟كما هو الحال بالنسبة للأعشاب التي تخلق في الربيع،وتعيش حياتها بينه وبين الصيف،وتقضي نحبها في الخريف،ثم تعود إلى الحياة من جديد كلما توفرت لها العوامل المناخية المنتجة للحياة والنمو مرة أخرى.

ومادامت الحياة فترة قصيرة من الزمن والحي تنتابه الشيخوخة والهرم ويطارده[1] شبح الموت في كل مكان عبر الزمان والمكان،فالتجأ الانسان القديم الى التفكير في مصيره بعد الموت، واستخدم خياله وتصوراته الفكرية حتى توصل الى شبه اقتناع بان هناك قوة خفية وراء الحياة والموت ولن هذه القوة تتمثل في كائن او كائنات ماورائية تعمل على تسيير شؤون الحياة والأحياء والكون بأكمله ،الذي كان يقتصرفي نظره على سطح الأرض وداخلها والفضاء الذي يعلوها ويسميه السماء وأن هذه الكائنات الخفية قد لا تموت وإذا ماتت قد تعود إلى الحياة بعد زمن محدود وتستأنف مهامها من جديد ، وهذا ما جعله يفكر في إنتصار هذه الكائنات أو الكائن على الموت بعد صراع طويل بين الموت والحياة ،أما بالنسبة للإنسان فالموت هو المنتصر،لكن الإنسان كان عنيدا كما عرف من خلال مراحل تطوره الفكري فراح يبحث عن بعث يخرجه من تحت الركام ويعيده إلى الحياة من جديد..[2] لذا فقد أثار الجزء المتحدث عن العالم الآخر في الملحمة ، أو بالأحرى ملحمة جلجامش وأنكيدو والعالم السفلي اهتمام الباحثين والأنتروبولوجيين والميثولوجيين في الشرق والغرب لما حمله في رؤيته وحقائقه من معاني تمثل بحق أصدق تعبير عن مدى شمول الوعي البابلي بفكرة العالم الآخر واستنطاقه إياه.

وقد كان العالم الأثري(مبايزر) يبدي إعجابا بالغا بها يلخصها في قوله"إن تجربة عميقة في مثل هذا المستوى البطولي قد وجدت مجالا للتعبير بأسلوب رفيع لأول مرة في تاريخ العالم".[3]

والفكرة العامة التي تستقصيها الملحمة هي رحلة جلجامش الشاقةو(سعيه وراء الخلود)في سبيل اقتناء سر الخلود،واقتفائه طريق الآلهة الخالدين ،إلا أن ذلك قد قسم الملحمة وفقا للتسلسل

---

[1]- أ. محمد الطاهر سحري ،رحلة في عالم الأساطير السومرية ، مطبعة سيبوس – الجزائر

[2] -المرجع نفسه ،ص102

[3] – انس ،داوود الأسطورة في الشعر العربي الحديث ،ص99

الدرامي إلى شطرين ،أو قسم شخصية جلجامش إلى مرحلتين المرحلة الأولى تصور جلجامش على أنه متهورلا يعبأ إلا بالحظة المواتية ولا يعنى نفسه بما وراء الحياة راضيا عن انقياد ولامبالاة بنصيب الإنسان في الكون ويعجزه عن بلوغ مرتبة الآلهة[1] فخولت له نفسه أن يمارس ظلما كثيرا بقومه دفع بهم إلى أن يتوسلو إلى الآلهة عشتار ربة الحب والحرب والجمال لأن تكفيهم شره و تكف أذيته عنهم،فنزلت الآلهة عشتار عند طلبهم ورجت الآلهة آور أن تخلق إبنا آخر في قوة جلجامش وبطشه فخلق(انكيدو) الذي صار فيما بعد صديق حميما لجلجامش وفي صحبته إياه يظهر المنعرج الخطير في حياة جلجامش عندما قص أنكيدو حلمه الذي رأى فيه اجتماع الآلهة يتشاورون على من سيقع عليه الموت واختاروا أن يكون جزاء من قتل الثور السماوي الموت وهذا يعتبر من النبؤات التي يوجب تصديقها.

لأن هناك حكمة من هذه النبؤات وتعتبر ذات طالع سيء حيث يؤخذ على الكاهن نقطة ضعف في حالة فشله في التكهن بطالع مبشر أما إذا تنبأ بوقوع طالع سيء ولم تتحقق نبؤته فإن الشخص المعني بتلك النبؤة قد يصفح عن الكاهن من شدة سروره ويحاول أن ينسى الموضوع برمته.

وتبدو النبؤات وكأنها عملية مستمرة امتدت لمدة طويلة ومن أماكن مختلفة وفي المرحلة البابلية الوسطى سطرت النبؤات على الألواح في تسلسل واضح، ورتبت الألواح نفسها بعد أن تم ترقيمها[2] لأن الإنسان مارس عبر العصور مهنة الكهانة (العراف) ولا تزال هذه المهنة منتشرة حتى يومنا هذا في العديد من الشعوب خاصة البدائية كما يؤمن بعض الأفراد في المجتمعات

---

[1] – المرجع نفسه، ص120

[2] – مجموعة من الباحثين ، النبؤات البابلية ، تقديم جوسي آرو، بقلم ايرلايتي ،ثرجمة د. حسن هيثم الطريحي :د.محمد سعيد الطريحي ،ص21

المتقدمة بالنبوءات حيث يعتقدون بأنها مصدر لسعادتهم لهم دون إبداء استعداد للإعتراف بضعفهم ، وكانت النبوءات تمثل دائما محاولة لمعرفة أسرارالمستقبل ففي البدء سارت الآلهة بحرية مع البشر(denzens)وحدث ذلك لعدم وجود فرق بين الآلهة والبشر عندئذ حيث أن هناك إشارات في الأساطير والملاحم تدل على وجود حوار بين الآلهة والبشر ولكن الآلهة انسحبت وأصبح ذلك أكثر وضوحا ومن مزايا هذا الإبتعاد الطريقة التي بدأت فيها النبوءات تبتعد عن التحليل كما نجد ذلك في رسائل مملكة(ماري) وحتى ولو عدنا إلى الأيام الخوالي أي عهد كلكامش أو أبعد من تلك الفترة وأعني هنا لو عدنا إلى فترة الطوفان فحتى في تلك الفترة الحسمة لم تتحدث الآلهة بصورة مباشر مع الإنسان حيث أن الآلهة(آيا) آلهة الماء خاطبت كوخ القصب كما أن (كوانوس) نذر (كزيتهيزوس) عن طريق الحلم [1]وما يهمنا هنا كما أسلفنا هو حلم أنكيدو بموته وقرار الآلهة لكن شمش (الثور) السماوي قال:ألم يقتلا ثور السماء(خمبابا) بأمر مني؟

إن "شمش"إنجاز أنكيدو قال:فعلام يقع الموت على أنكيدو البريء؟

وهذا لأن "شمش" كان أثناء طلوع الشمس ينزل إلى الناس كل يوم مما جعله يعطف على البشر ويقف بجانبهم ويدافع عنهم أمام مجالس الآلهة حتى صار كأنه واحد من البشر.

سقط أنكيدو طريح الفراش مريضا أمام جلجامش وأخذت الدموع تنهمر من عينيه لأن ساعة الفراق هي أشد وطئا عليه لكن جلجامش استغرب كيف يبرأ هو ويقع كل الذنب على أنكيدو هل هي إرادة الآلهة واختيارها ؟كي تعرفنا مدى وقع الصدمة وما درجة الالم الذي ستحدثه عند الفراق أحدهما للآخر ؟

---

[1] - المرجع نفسه،بقلم جي .بي جاو،ص ص 39،42

فقال جلجامش بنفس يائسة و الم دفين هل سيحتم علي ان اراقب أرواح الموتى وأجلس عند باب الارواح ؟

وهل سيكتب ألاّ أرى صاحبي العزيز بعيني؟[1]

فحيرة جلجامش حيرة لا تضاهيها أية حيرة من إنسان لم يؤمن بأن هذه الروح التي تسكننا ستغادرنا يوما ما شئنا أم أبينا، راضخين مذعنين لجبروتها فكيف إذا بصديق يفارق صديقه؟ أو ليس الموت الذي نعده كأنه جبار قاسي يسلبنا حياتنا وأحباءنا ونقف أمامه مكتوفي الأيدي ،أليس ذلك دليل على أن هناك قدرة وقوة أقوى منا لا نستطيع حيالها فعل أي شيئ سوى الرضوخ والركوع رقد (أنكيدو) على فراش الموت وأدرك ان نهايته أصبحت وشيكة فاخذت تتوارد عليه الخواطر والذكريات فود لو انه ما جاء ألى حياة الحضارة، هنا ينتابنا أحساس غريب وهو أن الإنسان البابلي لم يكن يدرك أن مآل أي إنسان هو الموت فهو قدر مقدر كل واحد سيدركه هذا القضاء وهنا أحس "أنكيدو" كأن طائف الموت التبسه وحده دون غيره وأن مجيئه الى حياة الحضارة كان وابلا عليه فلو بقي في بداوته لما أدركه هذا الطائف المخيف وأخذ يكبل اللعنات على من زين له المجيء الى حياة المدينة، وكان بزعمه أن المدينة وحدها من يتربص بها هذا الوحش الذي ينتزع الأرواح من ساكنيها ويبعث فيهم رهبة الجسد قبل إخلاء المكان ومفارقته الزمان بلا رجعة حيث تبقى إلا الذكريات تنبعث كقبس من بعيد يلوح يشعرنا أن تلك الروح وذلك الجسد باقي في نفوسنا نستشعره كلما ألم بنا فراق من نحب ومن نعرف حتى

---

[1] – طه باقر، تقديم محمد حسين الاعرجي ، ملحمة كلكامش ،طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الغاية ، الجزائر 1995، ص 56

يستكين ذلك الشوق وتخمد جذوته في نفوسنا وما نجد سبيلا ألا في بعث بعض الزفرات والآهات التي تتخللها بعض الدموع التي تسكن روعتنا[1].

فاخذ يلعن كل من أتى به إلى هذه الحياة التي أصبحت في نظره مثال اللعنة والسخط فصار يلعن الباب الذي صنعه ودخل منه والصياد الذي جاء إليه بالبغي التي زينت له المجيء إلى أوروك ويروي لنا هذا المشهد المؤثر النص الآشوري بعد نقص في أوله كما في الشريحة الآتية:

رفع أنكيدو عينيه وخاطب الباب كما لو كان إنسانا

مع أن الباب خشب الغابة لا يفهم ولا يعقل

"اخترت خشبك من مسافة عشرين ساعة مضاعفة

قبل أن أبصر أشجار الأرز الباسقة

إن خشبك يا باب لم أر مثيلا له في البلاد

أيها الباب لو كنت أعلم أن هذا ما سيحل بي

وأن جمالك سيجلب علي المصائب

إذن لرفعت رأسي وضممتك

ولكن ما الحياة يا باب وقد صنعتك وجلبتك

لعل ملك ممن سيأتي من بعدي

سيستعملك ويزيل إسمي ويضع إسمه[2]

---

[1] - المرجع السابق ، ص56

[2] –المرجع السابق ، ص67

لما سمع جلجامش قول صاحبه"أنكيدو" جرت دموعه فتح بلجامش فاه وقال لأنكيدو:

"حياك أنليل بقلب واسع

ومنح له الحكمة ولكنك تقول قولا شططا

علام يا صاحب نطقت بهذه الأقوال الغريبة؟

كانت رؤية عجيبة ولكنها مخيفة

وياما أكثر الرؤى العجيبة

يسلط الآلهة على الأحياءالأحزان

وتسلط الرؤى على الباقين من الأحياء الأحزان

سأنام وأتضرع إلى الآلهة "[1]

هنا" جلجامش" تحقق من وقع الصدمة على صديقه "أنكيدو"

فيقول له: إنما تقول هو ضرب من المحال وأن كل من يعتريه العجب من جراء تلك الرؤيا المخيفة ويواصل في التهوين عليه بأن هناك كثير من الرؤى العجيبة ورغم هذا فأصحابها لم يصبهم أي أذى وأن الآلهة تسلط على البشر الأحياء الأحزان.وبزعمه هذا أن الآلهة بظلمها وتعسفها تسلط على كل ذي حي عقوبة نظير حياته ألا وهي الحزن وتختص بالرؤى من الأحياء من يستعذب بحزنها ويعقبه قول جلجامش أنه سينام ويتضرع إلى الآلهة لعلها تبعد عنه هذا الحزن الذي ألم به جراء خوفه أن يصيبه سهم الموت.

ثم يواصل أنكيدو هذه المرة في صب لعناته على الصياد ويقول:

" اسلب الصياد ماله وأحل به الوهن

---

[1] - schett ;das gilgamesh b pos ;51-62

فهناك أن لاتتقبل منه أعماله

وعسى أن يفر كل صيد يوم اقتناصه

و أن تحقق له أمنية من أماني قلبه

هنا يتضرع "أنكيدو" للآلهة وهو موقن بتلبية دعائه بأن يسلب للصياد ماله وأن لايتقبل منه أعماله فتفر منه الفرائس حين يريد اقتناصها أو أن يواصل في لعنته أشد قسوة من سابقتها وهي أن لا تحقق له أية أمنية من أماني قلبه [1]وبهذه اللعنات وإن تحقق ستصيب صاحبها بالصعقة وبالإنهيار لأن أماني القلب ليست لها نهاية وبهذا فهوقد قضى على الصياد ولا مفر له سوى الركون وانتظار حتفه .

ثم دفعه قلبه إلى أن يلعن البغي فقال:

" تعالي أيتها البغي أقدر لك مصيرك

وهو مصير لن ينتهي إلى الأبد

سألعنك لعنة كبرى

ستحل بك لعناتي في الحال

لن تستطيعي أن تبني بيتا يليق بجمالك

نقص من نحو8-9 أسطر

"ليكن أكلك من فضلات المدينة

ستكون زوايا الدروب المظلمة مأواك

وفي ظل الجدار سيكون وقوفك

---

[1] -المرجع السابق ،ص58

فهنا "أنكيدو" كأنه إلاه يقدر مصائر البشر وأن أقداره ستصيبهم ولن تخطئهم أبدا فهو واثق مما يقول وعلى يقين من أنه سيجاب فهو يصب جم غضبه على البغي فلولاها لبقي في الغاب يرعى الكلاء مع حيوان البر ثم يبدأ الشق الثاني من الأسطورة عندما يموت هذا الصديق ويبدأ التفكير في يقظته على الفاجعة ويحاول أن يواجه عن تأمل واستبصار مأساة الوجود.....إن سلب الحياة من جسد رفيقه أنكيدو المليء بالحيوية كان صدمة عنيفة لجلجامش أعطى الملحمة بعدا إنسانيا عميقا و وضاحا زاد في نضارتها الباقية على مر العصور فموت أنكيدو قد زعزع كيان جلجامش وحزن عليه لانه صديقه وأخوه ولكن الأهم من ذلك ما ساوره من إحساس بأن أنكيدو وهو نضيره في الخلق كما يقول الإمام علي بن أبي طالب قبل أن يكون صديقه الوفي[1].وإذا كان رد فعله على وفاته باعتباره صديقا أن صنع له تمثالا وأنه لم يدفنه لعدم تصديقه بموته

" ندبته ستة أيام وسبع ليال

معللا نفسي بأنه سيقوم من كثرة بكائي ونواحي

وامتنعت عن تسليمه للقبر

أقول: إذا كان رد فعله إزاء موت أنكيدو هو ذلك،فإن رد فعله إزاء من حيث هو إنسان شيئان:

- أولهما انه رأى في وجه صاحبة الحانة موتا خبيثا وتدركه به(في طيها) فخاطبها" فيا صاحبة الحانة- وأنا أنظر إلى وجهك -أيكون في وسعي ألا أرى الموت"؟
- وثانيهما أنه يوم حصل على نبات الخلود لم يفكر بخلوده هو فحسب، وإلا فما كان أسهل عليه أن يأكل من النبتة ساعة حصوله عليها ولكنه لم يفعل ذلك وإنما قال:

---

[1] - انس داود ،الأسطورة في الشعر العربي الحديث،ص 120

"لأحملنه معي ألى أوروك المحصنة

وأشرك معي الناس ليأكلو منه

وأنا سآكله في آخر أيامي "

وكانت الملحمة قد مهدت لكل ذلك ،يقول كلكامش وهو يصف موت صديقه

"إنه أنكيدو صاحبي وخلي الذي أحببته حب جما

لقد انتهى إلى ما يصير إليه البشر جميعا"[1]

وإذن فإن كلكامش كان يعرف مصير البشر جميعا ولكن تتعمق هذه المعرفة في نفسه كما تعمقت بعد موت أنكيدو ،ومن هنا كان بحثه عن الخلود ليس بحثا عنه له وحده وإنما هو لنا جميعا لئلا يفجع صديق بصديقه كما فجع هو بموت أنكيدو فترتب على ذلك أن أصبح مصيره هو مصيرنا جميعا وإذ يكون البطل جزءامنا وتكون أمنيته التي يخيب في تحقيقها أمنيتنا تصير خيبته ألمنا جميعا مثلما كان طماحه نبلنا جميعا.

بقي بعد ذلك ان نسأل عن اتجاه البحث عند كلكامش لو كان كذلك؟

ولو لم يسلم بمصير البشرية الذي يعرفه والذي هو الموت؟

والحق أن كلكامش كان مسكونا بالخلود ،حتى لكأن ذلك جبلة فيه فقد رأيناه يخاطب صديقه أنكيدو وهما يستعدان لمنازلة خمبابا بقوله:

" يا صديقي من ذا الذي يستطيع أن يرقى إلى السماء

فالآلهة وحدهم هم الذين يعيشون الى الأبد مع شمس

أما البشر فأيامهم معدودات

---

[1] – طه باقر ، تقديم محمد حسين الاعرجي، ا حمد كلكامش ، الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007 ص 23

وكل ما عملوا يذهب مع الريح....."

إذن فلا بدع في أن يتوجه كلكامش هذه الوجهة أعني فكرة البحث عن الخلود –إذ كان مسكونا بها قبل موت أنكيدو حيث كان أنكيدوبدائيا متوحشا ينفق كل ما لديه من قوة في مصاحبة الوحوش وفي مطاردتها ويبدد كل ما عنده من نشاط في ذرع الغابات وفي مسحها حتى بلغ من عمله أن عرف أن ساحة غابة الأرز " تمتد مسافة عشرةألاف ساعة في كل جهة" فكان على كلكامش وعلى واحد الصيادين قبله–أن يبددا هذه القوة المتوحشة بحيويتها لتستحيل إلى حضارة وإلى عقل فلم يجد إلى ذلك طريق أمثل من المرأة وإذا هيأ كلكامش هذه المرأة له، مكث معها ستة أيام وسبع ليال حتى أضحى أنكيدو خائر القوى لا يطيق العدو كما كان يفعل من قبل ولكنه صار فطنا واسع الحس والفهم ....."[1]

وإذ ينقلب انكيدومن البدائية إلى الحضارة،فيدخل إلى أوروك مع صاحبته يكون من الهين أن نلمح الحضارة العراقية وكأنها ترى أن المرأة –المرأة وحدها– بوابة الحضارة فهل كانت هذه الرؤية أثر من آثار"البغاء المقدس" فيها أم ذلك البغاء كان أثرامن آثار تلك الرؤية ومهما تكن الإجابة فإنه ليس قليل الدلالة أن يصطدم تعريفان للخلود فينتصر تعريف المرأة له فقد كان كلكامش يرى أن الخلود هو ألا يموت الإنسان شأنه في ذلك شأن الآلهة على حين كانت صاحبة الحانة قد نصحت كلكامش بقولها:

"حينما خلقت الآلهة العظام البشر

قدّرت الموت على البشرية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المكتبة المركزية

[1] - المرجع السابق ص ص ،24 ، 25

واستأثرت هي بالحياة"[1]

نقول ليس قليل الدلالة أن تدرك المرأة صاحبة الحانة معنى الخلود في هذه الحياة وليس قليلها أيضا أن تكون استوراة-كما لاحظ الأستاذ المرحوم طه باقر-حين أرادت تعريف الحياة لم تجد خيرا من تعريف صاحبة الحانة.

ويمتزج القلق في الملحمة تجاه الموت برؤية جلجامش للعالم الأسفل الذي وصفه له صديقه أنكيدو الذي كان نزوله كما تقول روايتان إحداهما سومرية والأخرى أكدية لسببين مختلفين،

أما النص السومري فيرجع نزول أنكيدو إلى العالم السفلي على أنه استمرار لنص(إنانا وشجرة الحلبو) التي صنعت له إنانا من قاعدة هذه الشجرة آلة موسيقية هي(البكو) ومن قمتها آلة أخرى هي (المكو) فذهب سعيدا مسرورا بهذه الهدية يعزف ويطرب بأعذب الألحان وفجأة سقطت منه الآلتان في كوة إلى العالم السفلي فمد يده لإلتقاطها فلم يستطعها فأخذ في البكاء حزنا عليها فنزل صديقه أنكيدو إلى العالم الأسفل لإتيانها إياه.

أما الملحمة البابلية فتروي قصة العالم الآخر كتكملة لما سبق ذكره فبعد وفاة أنكيدو وبقي جلجامش يبكي حوله وينوح سبعة أيام من غير أن يدفنه أخذ بعدها يبحث عن سر الخلود إلى ان قصد جده (اوتنابشتم) الذي امر بفتح كوة تخرج من خلالها صديقه أنكيدو الذي يخبره بما في العالم السفلي ،وكلا الروايتين تعرض أمرا أساسيا هو فكرة العالم السفلي او الحياة بعد الموت وأتا في مصير الأموات في هذا العالم على ما ذكرته الملحمتان.

---

[1] - المرجع السابق ، ص 74

لا يبدو النص السومري معنيا كثيرا بفكرة الموت أو القلق الذي ينتاب جلجامش إزاء فكرة الموت بقدر ما يوعي اهتماما كبيرا بالآلتين الموسيقيتين اللتين نزل أنكيدو للبحث عنهما فاختطفه العالم السفلي .

فالآلتان اللتان أهدتهما إنانا قد شغلت اهتمام بلجامش إلى درجة أنه أخذ يبكيهما فجاءه أنكيدو صديقه المخلص وجلس إليه بعدما سمعه يبكي ويقول:

أيا بكي من سيعيدك إلي من العالم الأسفل؟

ويا مكي من سيرجع بك من العالم الأسفل؟

لماذا يا سيدي تبكي؟وعلام يتوجع قلبك؟

بكك سآتيك به من العالم الأسفل

ومكك سأرجعه إليك من العالم الاسفل[1])

وهنا تبدأ أطوار النزول إلى العالم السفلي، تبدأ بتحذير جلجامش لصديقه ووصفه اليه فيقول له موصيا ومحذرا:

لاتضع ثيابا نظيفة وإلا خف إليك الأموات

ولاتضمخ نفسك بالعطور الطيبة

كي لاتجذبهم الرائحة فيتجمعو حولك

ولا ترمي رمحا عند تجوالك في العالم السفلي

لئلا يتكأكأ عليك من أصابهم رمحك[2])

---

[1] – فراس السواح ، مغامرة العقل الاولى،ط 10، دمشق 2000 ، ص281

[2] –المصدر نفسه ، ص281

لا يبدو النص السومري معنيا كثيرا بفكرة الموت أو القلق الذي ينتاب جلجامش إزاء فكرة الموت بقدر ما يوعي اهتماما كبيرا بالآلتين الموسيقيتين اللتين نزل أنكيدو للبحث عنهما فاختطفه العالم السفلي .

فالآلتان اللتان أهدتهما إنانا قد شغلت اهتمام بلجامش إلى درجة أنه أخذ يبكيهما فجاءه أنكيدو صديقه المخلص وجلس إليه بعدما سمعه يبكي ويقول:

أيا بكي من سيعيدك إلي من العالم الأسفل؟

ويا مكي من سيرجع بك من العالم الأسفل؟

لماذا يا سيدي تبكي؟وعلام يتوجع قلبك؟

بكك سآتيك به من العالم الأسفل

ومكك سأرجعه إليك من العالم الاسفل[1]

وهنا تبدأ أطوار النزول إلى العالم السفلي، تبدأ بتحذير جلجامش لصديقه ووصفه اليه فيقول له موصيا ومحذرا:

لاتضع ثيابا نظيفة وإلا خف إليك الأموات

ولاتضمخ نفسك بالعطور الطيبة

كي لاتجذبهم الرائحة فيتجمعو حولك

ولا ترمي رمحا عند تجوالك في العالم السفلي

لئلا يتكأكأ عليك من أصابهم رمحك[2]

---

[1] – فراس السواح ، مغامرة العقل الاولى،ط 10، دمشق 2000 ، ص281

[2] –المصدر نفسه ، ص281

وتستمر وصايا جلجامش إلى صديقه مشفقا عليه ومحترسا أشد الإحتراس من هذا العالم إلى أن حدث ما كان يتوقعه جلجامش،إذ تأخر صديقه أخذ فؤاده في الخفقان واضطرب(فؤاده)حيرة على تأخره وفزع إلى(نيبور) و(أيكور) في النص البابلي وخاطبه بلهفة وحدة:

أيها الأب إنليل لقد سقط بكي للعالم الأسفل

كما سقط مكي للعالم الأسفل(أيضا)

فأرسلت أنكيدو ليرجعها ولكن العالم الأسفل أمسكه

لم يقبض عليه نمتار ولا أمسك به(أستاك)

ولكن العالم الأسفل أمسكه

لم يطبق عليه (نرجال)ناصب الكمائن المحكمة

ولكن العالم الأسفل أمسكه

لم يسقط في المعركة في ساح البطولة

ولكن العالم الأسفل أمسكه[1]

وهنا نلمس بصدق موقف جلجامش من قبضته العالم السفلي أو الموت في هذه الأبيات فقط من النص السومري، هذا الموت الذي لا يفلت منه كل من ذهب إليه والعالم الذي لا ينجو منه كل من نزل إليه فلا (نمتار) ولا(أستاك) ولا(نرجال) قدروا علي القبض على أنكيدو القوي لكن العالم السفلي أمسكه وقبض عليه فأي قوة هي تلك التي في هذا العالم القادرة على القبض على أنكيدو القوي من كان في قوة أنكيدو هذا ما تدل عليه السطور الموالية من كلام جلجامش لـــ(نيبور) ولكن نيبور لم يجيب فأعاد جلجامش الكلام ثانية على(أكشيجال) ثم إلى(إنابسو) ثم

---

[1] – المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

على(إيا) ثم على نرجال الذي امتثل أخيرا لطلب(إيا) وفتح له ثقبا وتعانق الصديقان وأخذ يحدثه عن العالم السفلي وما فيه.

أما النص البابلي فيعرض بعد وفاة أنكيدو حوار جلجامش مع(أوتنابشتم) في منتهى تعبيره لمرارة الألم الذي يعانيه جلجامش من مسألة الموت لقد بقيت صورة أنكيدو وهو ميت مرتسمة في ذاكرة جلجامش ومخيلته لا تفارقه أبدا وبدت له صورة الموت كأبشع صورة عرفها في الحياة وأخذ يفكر في وسيلة للهروب من المصير المحتوم على كل بشري،وقرر أخيرا الذهاب إلى جده الأكبر (شمس نبشتين)أو(أوتنا بشتيم)والإسم البابلي للملك(زيو سودارا)بطل قصة الطوفان وإسم زيو سودارا سومري أما لفظة أتنابشتم فمعناها(وجدت حياتي) والبعض يفسرها على شكل آخر(الذي رأى الحياة) والتسمية هنا مشتقة من طبيعة المكافأة التي نالها لاستعادة الحياة على الأرض. [1]

لقد تجاوز صعابا وصعابا قبل أن يصل إليه وبعدها ترجى كثيرا الماردين اللذين يقفان على باب العالم السفلي والاذان أكدا له أن الوصول إليه صعب المنال بكى عندهما بكاءا مرا كان الفدية التي قدمها إليهما للسماح له بالمرور حتى وصل إلى ربة اسجار(سبتو) العذراء وطلب منها أن تعينه على تجاوز الماء فرفضت .واستغرقت الرحلة به أربعين يوما وليلة قبل أن يصل إلى جده الذي لمحه من بعيد ساقطا إثر داء عضال فأخذ يتوسل إلى جده وهو على حالته تلك سأله سرالخلود فأجابه أوتنا بشتيم:إن الموت هو نهاية كل بشري.....و إنه لمحرم على إنسان أن يعرف سر الساعة التي تنتهي عندها حياته.ففي السماء تجلس آلهات القدر تغزل خيوط الحياة

---

[1] – حسن نعمة ، ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ،ص59

لكل إنسان وترسم نهايته ولكن متى ينتهي الغزل الخاص بحايته؟ وفي أي ساعة؟ هذا ما لا يدريه أحد قط.....في الغازلات أنفسهن ،[1]

ولكن جلجامش ورغم إجابته المقنعة التي سمعها من جده لم يرضى بهذا المصير والقدر مرة أخر رجاء الخلود وقال:"أنا لا أريد عدوانا على سلطان الآلهة.....ولكنني أعجب لماذا تخلد أنت وأموت أنا....على حين أن مظهري لا يختلف عن مظهرك....؟إنني أشبهك تماما...ولست أكثر مني حكمة ولا أرجح عقلا.....وفي قلبي مثلا قلبك جريء قوي فكيف تدخل أنت مجمع الآلهة ولا أدخله أنا...؟كيف تجد سر الخلود ولا أجده أنا.....؟ [2]

يفسر لنا هذا الكلام لجلجامش ما ذكره "صويتل هنري هوك"اثر تعليقه على الاسطورة بأنها تعكس مظاهر القلق التي انتابت السومريين من جراء التفكير بمشكلة الموت وهذه القضية فيما يرى هي التي صنعت المحور والإمتداد الذي تحولت به الاسطورة السومرية إلى ملحمة بابلية (شعبية) [3]. ولا ادل على هذا القلق من الحوار الذي دار بين جلجامش وجده الذي نزعته اللامتناهية إلى الخلود أخذ يقص عليه السر الذي نال به الخلود وكيف أن نجاته من الطوفان وحمله من كل زوجين اثنين هو مالحقه بمصاف الآلهة كمكافأة لما قام به بل وزاد على ذلك أن هداه إلى نبتة إن حصل عليها جددت له شبابه،إلا أن جلجامش بعدما عثر عليها اختطفت منه حية إلى جانب البركة التي دخل يستحم فيها فندم على ذلك ندما كثيرا وعاد إلى مدينته بعد أن فشل في نيل الخلود وأراد أن يصنع تذكارا يخلده فبنى سور أوروك الضخم بطول 9,8كم وقد

---

[1] –سليمان ،مظهر،اساطير من الشرق ،ص108

[2] –المرجع السابق ، الصفحة نفسها

[3] – محمد ، حسن ،عبد الله ،أساطير عابرة للحضارات ،ص135

نسب هنا بناء هذا السور إلى الملك جلجامش من خلال ملحمته الأسطورية وهذا السور يعد من الأعمال العمرانية التي خلدتها الأسطورة ويعود إلى عصر ميسليم. [1]

وإذا كانت الملحمة قد أجابت عن سؤال شغل البشرية من يوم خلق أول إنسان على وجه الأرض وربما سيبقى يشغل آخر إنسان يكون عليها ذلك هو الموت حتى بعد أن لطفت الديانات السماوية من حدة السؤال بل حتى بعد أن ألغته عقديا بإعطائها للحياة معنى وللموت معنى وللخلود في الحياة الأخرى معنى فإن الحضارات القديمة وهي حضارات ناسوتة لم تستطع أن تفعل ذلك أو شيئا يقرب منه ومن هنا ألحت فكرة الموت عليها إلحاحا عنيفا ومن هذا كله ان ننضر إلى الأهرامات المصرية وإلى المومياءات فيها يلفت النظر حقا هو أن الحضارة العراقية قد سألت عن كيف يكون الخلود وكانت رؤيتها أن الخلود مما اختصت به الآلهة وحدها،وان خلود الإنسان ،لا يكون إلا بعمله وبعمران الأرض سواء أتم ذلك ببناء أسوار اوروك كما فعل جلجامش أم ببناء معبد(أي-أنا) أما ما عاد ذلك فليس هنالك خلود جسدي للإنسان على وجه هذه الأرض فهو يدفنهم رمادا ويقيم لهم التماثيل وليس قليل الدلالة أن يطلب كلاكامش من صناع مدينته"أوروك" صناعة تمثال لأنكيدومن الذهب واللازورد-كم سبق أن رأينا- أثناء احتضاره وبعد موته وألا يفكر في طريقة أخرى في خلوده ،وبذلك فإن الحضارة العراقية لم تكن تؤمن بشيء اسمه البعث أو النشور، وإنما كانت تؤمن بأن ليس بعد الحياة الدنيا حياة، ومن هنا كانت تسمي هذه الحضارة العالم السفلي الذي هو عالم الموت "أرض اللاّرجعة"[2]

---

[1] - سيف الدين ، الكاتب،أطلس التاريخ القديم ، دار الشرق العربي ، بيروت ، لبنان ، الاصدار الثالث 2009 ، ص10

[2] - طه باقر، ملحمة كلكامش ،تقديم ،محمد حسين الاعرجي ، الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007 ،ص 21

2- البعـد الأخلاقـي:

منذ خلقت الأرض ولكل شيء نقيضه ،فأصبح الصراع القائم بين الخير والشر شيئا مألوفا لأنه ارتبط بالتركيبة البشرية المعقدة التي كانت تسعى دوما إلى خلق توازن طبيعي فخلقت رمزية النقيض فكان الخير الذي يمثل أسس المعاني الإنسانية يقابله ذلك الوجه المظلم من كل ماهو جميل ألا وهو الشر ولهذا فالخير و الشر رمزيتان متناقضتان .وكان هذا الصراع يجري بين بني البشر كما جرى بين ست وحورس باعتبارهما وجهين متناقضين للشر والخير الليل والنهار وكان هذا الصراع سياسيا بين إله الدلتا وإله الصحراء أو بشكل أدق بين إله مصر وإله الصحراء ثم انتقلت أسطورة الصراع بينهما إلى الثقافة الأوزورية فأصبحت جزء من أسطورة أوزوريس وإزيس. وصار حورس إبن أوزوريس ودار الصراع بين ست وأوزوريس أولا ثم بين حورس وست الذي قتل أباه. [1] ولهذا تمثل أساطير أوزوريس مكانة عريقة في المثولوجيا المصرية وتمثل الوجه الشعبي لهذه الأسطورة،فقد ظهرت منذ عصر الأهرامات حوالي 2800ق م واستمرت إلى القرون الميلادية الأولى وانتشرت في بلاد اليونان والرومان بل اجتاحت أرجاء العالم الكلاسيكي القديم وكانت هذه الأساطير تمثل في عروض تمثيلية بدائية يقوم بها كهنة أوزوريس وقد انطلقت هذه العروض الأسطورية والطقسية أولا من معبد(أبيدوس) وهو المكان المقدس الذي يعبد الإله فيه لقد قتل الحقد قلب ست فدبر لأخيه الذي ذهب إلى بلاد أجنبية للغزو مقتلا عند عودته ، وتذكر بعض الاساطير انه هيأ تابوتا لاخيه في حفلة واستدرجه

---

[1] – خزعل الماجدي ، الدين المصري ، دار الفنون للنشر والتوزيع عمان ، الاردن ،ط1 ،1999، ص101

إليه والبعض الآخر يذكر أنهما تصارعا عند مياه منطقة ندية (ندبت) وهناك من يرى أنهما عند مدينة عدخبتي التي سميت(حبو)والتي أطلق عليها إسم بر أوزوريس وهي أبوصبير الحالية والتي أطلق عليها إسم(الفعل الممزق) إشارة إلى مقتل أوزوريس.

وهناك أساطير تذكر أن ست تعاون مع ملك إثيوبيا (آسو) واثنين وسبعين متآمر لإبعاد أوزوريس ثم قتله في يوم17من شهر حتحور(أيلول أو تشرين الأول فيما بعد)من العام22من حكمه وألقي جسد أوزوريس المقطع ألى 14 أو16 قطعة في النيل قامت إزيس وتفتيس بالبحث عن جسده القتيل وهناك عدة أساطير حول العثور عليه الأولى تفترض أنها عثرت عليه عند شواطئ ندية الثانية قرب منف أو عين شمس وقد دفنتاه هناك والثالثة تقول أن الجسد قد حمله تيار النهر إلى منطقة بيبليس في مستنقعات الدلتا أما الرواية الرابعة فحرفت إسم بيبليس إلى بيبلوس وادعت أن الجسد ذهب إلى البحر المتوسط (البحر الأخضر) وذهب إلى بيبلوس(جبيل) في فينيقيا حيث أظلته هناك شجرة مباركة واحتوته في جوفها. [1]

بحثت إزيس عنه وبلغت جبيل فاهتدت إلى الشجرة وحملت جثته وعادت به إلى أرض مصر وتسترت عليه وأعادت إليه الحياة بسحرها لكن نزعة الشر الكامنة في أخيه ست لم تهنأها بهذا فقتله ثانية وقطع جسده إلى (42) قطعة ويرمز هذا إلى تمزيق جسد مصر إلى(42)إقليما متناحرا ويرمزأيضا إلى عدد معابد ومزارات أوزوريس في مصروزعا إلى عدد قضاة العالم الأسفل في قائمة المحاكمة والحساب،وقام ست بتفريق قطع جسد ازوريس هذه على أقاليم مصركل قطعة في إقليم لكي لا تعثر إزيس عليها ،لكن إزيس لم تيأس فبحثت عنه حتى وجدته وجمعت قطع جسد أوزوريس ولصقتها مع بعضها ثم أعادت بسحرها الروح إليه لفترة قصيرة

---

[1] -المرجع السابق ، ص ص124 ،125

من الزمن وحملت منه حملا ربانيا فتكون منه طفلها(حور) عاشت إزيس في مستنقعات موحشة وهناك ولدت حورس فقامت البقرة برعايته وأعطائه الحليب وقامت هي برعايته وتنشئته بعيدا عن أعين الناس في أرض(خم)،علم ست بأمر الطفل فأرسل عقربة لتلدغه أثناء غياب أمه التي وجدته بعد ذلك وهويكاد يفارق الحياة فاستنجدت بمن حولها من سكان القرية ثم عرفت أنه قد لدغ وأدركت أن تعزيمتها لن تنفع فبدأت تصرخ"أي رع إن ابنك حور قد لدغ إن حور قد لدغ وهو الوريث والمولى على عرش(شو) إن الطفل الجميل ذا الأعضاء الذهبية قد لدغ [1]إن حورابن إيزة قد لدغ إن حور الذي أعددته لكي يثأر لأبيه قد لدغ إن حور الذي خشيت أن يصيبه مكروه وهو في حمي قد لدغ إن حور الذي رعيته قد لدغ إن حور الطفل الذي رجوت حياته قد لدغ إن الطفل قد مات"[2]، هرع الآلهة إلى إزيس فجاءت الآلهة (سرقت)و(نفتيس) ثم صرخت إيزا صرخة قوية استوقفت مركب الشمس فأرسل الإله (رع)رسوله (تحوت)ليستطلع الأمر وجاء (تحوت) وعرض ما حصل(لحورس)فبدأ بقراءة تعاويذه السحرية التي يعدد فيها أوصاف حور ويقارنها بأوصاف الآلهة "حورتحيطه العناية حور مثله كمثل لاندي،ذلك الذي في قرص الشمس الذي يضيء الأرضين بنور عينيه أي حور استيقظ أي حورإن حصانتك مؤكدة استيقظ وادخل الفرح إلى قلب أمك إيزه..."[3] بعدما يشفى حورس فتفرح الآلهة وتفرح إزيس وعندما أصبح حورس رجلا عملت إزيس كل مافي وسعها لتربي حورس وتنقذه من الأهوال التي تحيط به ، تقدم حورس إلى آتوم مطالبا بعرش أبيه، فيأمر آتوم بعقد محكمة الآلهة المكونة من التاسوع الإلاهي وعندما انعقدت قدم الإله تحوت العين(وجات)إلى الأمير حور:ووقف الإله

---

[1] – المرجع السابق،ص ص ص127،125، 129

[2] – انظر مهدان 1989 ، ص، ص32،31

[3] – المرجع السابق ،ص 32

شو جنب حورس وضد ست وأيده في ذلك تحوت وفرحت إيزيس ،وكان الإله(أتوم) يميل إلى الوقوف مع ست(الإله الشمسي) الذي يحرس قارب (رع) في النهار وسادت المحكمة الفوضى حسب إنقسام الآراء فرأى الإله(أونوريس)الإلتجاء إلى الإلهين (خنوم)و(بتاح) ليحكما في الامر فلما حضرا اعتذرا عن ذلك لجهلهما بالموضوع قررت المحكمة بعد ذلك[1] أن يقوم تحوت بكتابة خطاب إلى الآلهة الأم(بنيت) لتقضي في هذا الأمر فتلقوا جوابها الذي يقف بجانب حور،ورأت بأن تسلم وظيفة أوزوريس لإبنه حوروأن تضاعف لأملاك ست ويعطيه ألإله(رع)ابنته (غات)لكن الإله (رع) اعترض على هذا الرأي مدعيا أن حورا مازال غلاما.وعندئذ ثار الإله (بايا) واتهم (رع) بالخوف فتألم (رع)من هذه الإهانة وأصبح طريح الفراش وانقضت المحكمة.وبعد سنين طويلة انعقدت المحكمة من جديد بعدما تعافى (رع)،وانعقدت المحكمة من جديد وقال ل(ست) و(حورس)تحدثا فتحدث(ست) وقال أنه يبيد عدو (رع) عندما يقف في مقدمة السفينة وأنه يستحق وظيفة أوزوريس فأيدت الآلهة مطلبه لكن أونوريس وتحوت اعترضا وساد الهرج من جديدالمحكمة ،وتحدث حورس بغضب وتحدثت إزيس بغضب وهدد ست الآلهة بأنه سيقتلهم جميعا ثم غضب رع على إزيس وطالب بأن تعقد المحكمة في الجزيرة الوسطى شرط الاّ تحضر إزيس أومن يشبهها إلى هناك.

فأبحرت إزيس آلهة التاسوع إلى الجزيرة الوسطى وتحولت إلى إمراة عجوزوذهبت إلى العبار(عنتي)وادعت أنها تريد أن ترى إبنها في الجزيرة فلم يقبل العبار بنقلها حتى رشقته بحلقة ذهب كانت في يـ.ها وصلت إزيس الجزيرة ورأت التاسوع جالسين يأكلون الخبز فتفوهت برقية وتحولت إلى فتاة مذهلة الجمال فرآها ست فوقع في حبها وهام بها ،فاستدرجته بجمالها ثم قالت

---

[1] – خزعل الماجدي ،الدين المصري ، ،دار الشرق للنشر والتوزيع عمان الأردن ط1 ، 1999 ،ص،ص 130 ،132

له،لقد كنت زوجة (رع)وأنجبت منه إبنا ولكن زوجي مات وصار ولدي حارسا لقطعان أبيه لكن رجلا غريبا جاء واستولى على القطعان ورمى بولدي خارجا فهل لك أن تعمل لصالح ولدي لم لك من سلطان فأجابها ست أتعطى الماشية للرجل الأجنبي بينما الإبن موجود هنا؟ وعندها تحولت إزيس حدأة ونادت على ست بصوت مرتفع قائلة فلتدرف عيناك بسببك أنت إن فمك هو الذي تحدث إن حكمتك هي التي أدانتك .

عبرت آلهة التاسوع إلى البر الغربي وجلسوا على التل وكتب الإله(رع) و(اتوم) رسالة إلى التاسوع يأمرون الآلهة بأن يضعوا التاج الأبيض على رأس حورس ليتربع على عرش أبيه أوزوريس بسبب مللهما من القضية التي طالت لكن ست الذي وقع مريضا صرخ بوجه التاسوع بعد أن تربع حورس على العرش واعترض وتحدى حورس في معركة مكشوفة قال ست لحورس دعنا نتحول إلى فرسي نهر ثم نغوص في المياه الدافئة ومن يطفو على سطح الماء بعد ثلاثة أشهر فإن المنصب لن يؤول إليه فغاصا هناك لكن إيزا بكت على ولدها فصنعت خطافا نجاسيا وربطته بالحبل والقت به في المياه فالتصق الخطاف بحور الذي استنجد بأمه فأمرت الخطاف بالإنفصال عنه ثم ألقته مرة أخرى فالتصق بست الذي استنجد بأخته فأمرت الخطاف بالإنفصال عنه خرج حورس من الماء غاضبا وماسكا سكينه بيده وقطع رأس أمه إزيس قررت المحكمة التاسوع السلام بينهما وأن يعيشا معا دون شجار[1].

ثم حدث صراع ثاني بين ست وحورس وتلاه صراع ثالث ثم بعد ذلك شكا حورس للآلهة نينت فمنذ ثمانين سنة يقف هو وست أمام المحكمة دون أن يفصل بينهما رغم أن محاكم الآلهة في كل مرة تقر بحق(حورس) ضد(ست) .

[1] - المرجع السابق ،ص 132

كما حصل في اتفاقات الكبرى لكن (ست) لا يأبه بما أقرته هذه المحاكم فيقر(تحوت) كتابة رسالة إلى أوزوريس ليفصل بينهما فوافق (رع) فكتب تحوت إلى أوزوريس الذي في عالم الموتى فأعاد أوزوريس الرد ووقف بجانب إبنه حورس وقال للآلهة التاسوع أنا الذي صنعت منكم كائنات قوية وخلقت لكم الشعير والعدس لتعيش الآلهة والماشية أيضا في حماية الآلهة ولم يفعل ذلك إلا سواي فرد عليه (رع) برسالة قاسية وقال له لقد أصبح الحساب في عالمك ومعي الآن كل الأشرار فرد عليه أوزوريس برسالة عادلة وصادقة واعترف للتاسوع بذلك [1].

طلب ست الإنتقال إلى الجزيرة الوسطى ليجادل (حورس) فانتقلا إليها وتم إنصاف حسابه فبعث (آتوم) برسالة إلى (إزيس) يطلب منها إحضار ست مربوطا في وتد ولما حضر ست قال له (آتوم) لماذا تعوق حكمك وتسعى إلى الإستلاء على المنصب فقال ست معترفا :أعط المنصب إلى حورس بن ازيس استدعى حورس ووضع التاج الأبيض فوق رأسه ووضع على عرش أبيه وقيل له أنت الآن الملك الكامل للبلد المحبوب، أنت رب الحياة والإزدهار والصحة والكمال للأرض قاطبة للزمن الأبدي والزمن اللانهائي وصاحت إيزا جهرا باتجاهه (أنت الملك الكامل إن قلبي فرح لأنك تضيئ البلاد بضيائك) ودائما تكون نهاية الشر وخيمة فقد عوقب (ست) من طرف (رع) فجعله يزعق في السماء ويخشاه الناس إلها للزوابع والعواصف وتقلبات العالم وعلى (رع) تتويج (حورس) وأمر الآلهة التاسوع بانحناء حتى الأرض وتحيته وفرح آلهة التاسوع لأن حورس أصبح ملك مصر وملك الآلهة[2].

وبهذا في استطاعتنا أن نقيم المفاهيم الأخلاقية المتضمنة في الديانة المصرية على نحو أفضل لو قرأنا "أدب الحكمة" بدلا من تحليل النصوص المخصصة مباشرة للأسطورة والعبادة فالسلوك

---

[1] - المرجع السابق ،ص133

[2] – المرجع السابق ، ص 134

المستقيم طبقا لتعاليم"بتاح حوتب" قد أقر النظام الأخلاقي الذي وضعته الآلهة ماعت في بداية الخلق وماعت فرؤية الحقيقة والعدالة والوفاق ويقول هذا النص"ماعت خيرة وقيمتها باقية لم تتزعزع قط من يوم خالقها".

وهناك نصوص مماثلة تمتدح فضائل أخرى كالتواضع وضبط النفس والصبر والحكمة فهناك نقوش جنائزية لنبل من الدولة القديمة جاء فيها لم لأتفوه قط بقول شيء ضد الناس لشخص ذي نفوذ فقد أردت أن تكون صورتي حسنة أمام"الإله العظيم" لقد قدمت الخبز للجائع والكساء للعاري والإشارة هنا إلى "الإله العظيم" تعني الإيمان بيوم الحساب بعد الموت ، فقد ارتبطت المفاهيم الأخلاقية عند المصرين ارتباطا وثيقا بهذا الإعتقاد ولقد عبر المصريون عن صورته المتطورة في الإيمان بأن كل إنسان بعد الموت سوف يواجه "ميزان القلب "أمام أوزوريس والقضاة الإثنين والأربعين وهناك العديد من الرسوم والنصوص التي تعالج هذه الفكرة وتظهر كفتي الميزان واحدة فيها رمز الآلهة ماعت"ربة الحقيقة" وفي الكفة الثانية قلب المتوفي فإذا استطاعت فضائله إحداث توازن مع كفة الحقيقة فسوف يصدر الحكم لصالحه بالسعادة الابدية، وإلا فإن هناك وحش يسمى "ملتهم المتوفي" يقف منتظرا القضاء على الشخص المدان.

كان كتاب"الموتى "هو وسيلة توصيل الحماية السحرية ولقد ذهب البعض إلى القول بأن ذلك قلة لم يتجاوز حدود السحر البدائي فحتى توحد شخصية الميت مع أوزوريس ودلك هو الضمان الأخير لتبرئته يوم الحساب ، فقد اعتبرمن هذه الزاوية خلوا من العمق الأخلاقي ولايمكن القول

كذلك أن وجود قلق خفي حول المعايير الأخلاقية والمقاييس الأدبية أمر واضح أيضا،وهذا إن لم نجد هنا نوعا من الإقتراب بشكل غامض من فكرة غفران الذنوب[1].

3- البعـد التاريـخي:

إن جلجامش شخصية تاريخية قام ببعض الأعمال التي سجلتها الملحمة مثل تشييده لأسوار مدينة أوروك لحمايتها من الأعداء ويعطي لنا الوصف الواقعي للمعبد إحساسا تاريخيا بوجوده كذلك تؤكد الملحمة أن جلجامش رجل حرب يخشى الجميع شجاعته وقوته وبطشه وأن منطقته أورو هي التي حصلت فيها أحداث الملحمة التاريخية. ومن الإنجازات الحضارية لعصر الوركاء الأختام الأسطوانية cylinder seals المزخرفة برسومات وعناصر بطولية ورموز دينية وممارسات طقوسية وكان اختراعها سابق لإختراع الكتابة وأستخدمت بعد تطوير الكتابة والحروف وأن هذه الأختام ساعدت في إعادت كتابة وتقويم التاريخ بما أحتوته من مستلزمات الوثائق من مكان وزمان وغاية أو هدف .

إن التاريخ هو السعي لإدراك الماضي البشري وإيحائه فالإدراك هوغير التوهم أو التخيل أو التصور فالمجتمعات البدائية حين يغلب الوهم على العقل والخيال على النقد والتصور على التحقيق وتتناقل أحداث ماضيها مضخمة صاخبة مفعمة بالبطولات بطولات الآلهة وبطولات البشر فتروي الخرافات وتنشد الملاحم[2].

لقد ذكر الطوفان كحدث عظيم الاثر عند سكان وادي الرافدين بحيث أن مؤلفي الأساطير جعلوه حدا فاصلا بين عهدين متميزين في تاريخ الميلاد، عهد ماقبل الطوفان وعهد ما بعد الطوفان

---

[1] - د.امام عبد الفتاح امام،المعتقدات الدينية لدى الشعوب،ترجمة،مراجعة ند/عبد الغفار صدرت السلسلة في يناير1978 باشراف احمد مشاري الغدامي1923- 1990- مايو 1990 ، ص ص 45،46

[2] - زريق قسطنطين ، ما وراء التاريخ، ص49

أي أنه يضاهي ما وضعه المؤرخون المحدثون في تقسيم التاريخ البشري العام إلى العصور القديمة والعصور الحديثة[1] كما أن مؤلفي ملحمة جلجامش وفقوا في الجمع ما بين الأعمال البطولية والمغامرات المنسوبة إلى جلجامش وبين القسم المتضمن حادثة الطوفان حيث استعملوا سرد القصص الشعبية في ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة، في ربة قصة بأخرى[2] .

إن في ملحمة جلجامش ثلاثة أهداف أولا: قصة الطوفان، ثانيا: محاولة تشبه الإنسان بالخلق- مشكلة الخلود، ثالثا: بطولة الإنسان ومغامراته ففي هذه الأسطورة الرمزية نوع من الخيال والواقع[3]. وفي قصة الطوفان ظهرت خرافات كثيرة منها لغة الأرقام حيث يظهر الرقم ثلاثة في ذكر ثلاثة من أبناء آدم هم قابيل وهابيل وشيت واسم نوح وله ثلاثة أبناء سام وحام ويافث[4].

الأساطير السومرية يمكن الاعتماد عليها في دراسة علم الأساطير المقارن ويمكن تقسيمها إلى مجموعتين الأولى: تشمل الأساطير وقصص البطولات التي تعكسها الثقافات القديمة عند الهنود والإيرانيين والإغريق من جهة واليابانيين والمصريين والعبرانيين من جهة أخرى وجميع هذه الأساطير وقصص البطولات مدونة انتقلت وانعكست في آداب هذه الشعوب في الألف الأول ق.م[5]. والإنسان هومحور الإرتكاز في الملحمة حيث نجد معالجة واقعية لمختلف قضاياه الأساسية ومواقفه من الحياة والموت ومن الخير والشر، وتفكيره في مصيره وفي الوجود وعلاقاته بالآلهة والطبيعة والمخلوقات والمادة التاريخية في ملحمة جلجامش تقسم إلى صنفين:

---

[1] – باقر طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ،دار الشؤون الثقافية العامة ،1986،ج1 ،ص301،ص441

[2] – باقر طه،ملحمة جلجامش،ص34 ،ابو زيد احمد،الملاحم كتاريخ وثقافة ، ومجلة عالم الفكر،1987،ص5

[3] – على فاضل عبد الواحد، الطوفان في المراجع السومرية، مطبعة اوفست الاخلاص ،1975،ص49

[4] – الشيخلي ،سمير، الخرافات هل تؤمن بهاء مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر،بغداد ،1983،ص141

[5] – كريمر،صموئيل نوح ، الأساطير السومرية،ص51

- الصنف الأول يحتوي على أخبار وأحداث تاريخية.

- والصنف الثاني يحتوي على إشارات ذات دلالات تاريخية.

و هي عمل تاريخي يمجد شخصية من أهم الشخصيات التاريخية عاشت في بلاد ما بين النهرين حوالي منتصف الإلف الثالث ق.م واثبتت آثار ووثائق المنطقة الوجود التاريخي لها فجلجامش يحتل الترتيب الخامس في قائمة ملوك سومر اللذين حكموا مدينة"أوروك"وامتد حكمه ما يقارب 126عاما،ثم أصبح بعد وفاته البطل المطلق للأسطورة السومرية فنظمت فيه القصائد والملاحم، وتصفه الملحمة بصفات إنسانية لا تدع مجالا للشك في تاريخية الأحداث التي جرت وليس أدل على ذلك من ان النتيجة النهائية للملحمة هي إعلان الفشل الإنساني في الحصول على الخلود فالملحمة تؤكد على أن الخلود هو من صفات الآلهة فقط.

كما تظهر الملحمة كيفية تطور مسار البشرية من حياة البداوة إلى حياة المدينة والحضارة وذلك من خلال شخصية "أنكيدو" صديق جلجامش والذي كان يمثل إنسان البادية قبل أن يتحضر ويرافق جلجامش وهذه العملية من التحول خضعت لها القبائل السومرية قبل أن تصل إلى درجة الحضارة المتطورة التي عرفتها خلال عصر فجر السلالات[1].

4- البعد الديني:

الديانة الأشورية وثيقة الصلة بالديانات السومرية والبابلية وقد آمن الآشوريون بان هناك آلهة عدة توجه مصير الإنسان وتسيطر على السماء والأرض والماء والعواصف والنار كما كانوا يؤمنون بالأرواح الخيرة والشريرة وبالسحر[2].

---

[1] - سامي ريحانا ،العميد الركن ، شعوب الشرق الأدنى القديم، نوبلين،ص133

[2] - موسوعة المعرفة المدرسية ،الإنسان يتحضر ويحارب نشر هدا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة سنة 2008 ، في إطار الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب ،ص 134 .

والأسطورة الطقوسية ترتبط بالعبادة وعنيت برصد الجزء الكلامي من الطقوس قبل أن تصبح حكاية ويمتاز ذلك الجزء بقوى سحرية خفية لتمكن منشده استرجاع الموقف الذي يصفه [1] وفي جميع الأديان القديمة تقوم الأسطورة مقام العقيدة الدينية ولكن هده الأسطورة لم تكن جزء من الدين إذ لم يكن لها قانون مقدس ولا قوة ملزمة للعبادة[2] ، وان الأساطير والطقوس تتبادل المواقع حيث تقف الأسطورة على المستوى الفكري بينما تقف الأسطورة على المستوى العلمي.

إن الأصول المعقدة للديانات نشأت مع بدايات الزراعة التي جاءت بأفكار منها ربط البذارفي الدهن البشري بالقربان لان البذار حدث اقتصادي مهم فجاء دور الكهنة الدين يخصصون أشخاصا يقتلون قربانا للبذار هنا جاء الربط بين الأسطورة والطقس[3] .

إن القصص الطقوسية في حقيقتها أشلاء أحداث تاريخية ومناسبات أريد بها الحفظ والتذكير فهده القصص ينظر إليها كمدونات تاريخية يستخدمها علم الأساطير بعد توضيحها وإعادة ضبطها وتحريكها من أقدم مواقعها ومن هنا أصبحت العلاقة وثيقة بين التاريخ والأسطورة تارة أو بين الاثنوغرافيا والانثروبولوجيا الاجتماعية تارة أخرى[4].

القسم الثاني (B) يتضمن قائمة أوثبتا بأفراد أسرة جلجامش وحاشيته وأتباعه وخدمه ممن دهب معه إلى العالم الأسفل وفي مقدمتهم ملكة دلك العالم " اير يشكيكال".

---

[1] - زكي احمد كمال ، الأساطير دراسة حضارية مقارنة ،ص 46

[2] -S-H.HOOK ,MIDDLEEASTEERNMYTHOLOGY,LONDON,1968.P.P11,12

[3] - ولز،ه،ج،معالم تاريخ الانسانية ،ترجمة ،عبد العزيز توفيق جاويد،مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ،1956،ج1 ،ط2،ص123.

[4] - عبد الحكيم ،شوقي مدخل لدراسة الفولكلور الأساطير العربية دار ابن خلدون ،بيروت 1978 ،ط1 ،ص19 .

وهنا تتوارد إلى الدهن جملة احتمالات مهمة لتفسير هدا المورد من النص منها إن جلجامش صار ملك العالم الأسفل وأن الأتباع والحاشية الدين يعددهم النص على إنهم اصطحبوه إلى دلك العالم قد دفنوا معه أحياء الآمر الذي يؤيد التفسير الذي ارتآه المنقب "وولي" عن المقبرة الملكية الشهيرة في اور[1]، من أن ممارسة دفن الأتباع مع الأمير والحاكم معه لهذا لم تكن مسلطة الملك يقيدها القانون وحده ولا الأعيان وحدهم بل كان يقيدها أيضا الكهنة ذلك أن الملك لم يكن من الوجهة القانونية إلا وكيلا لإله المدينة ومن اجل هذا كانت الضرائب تفرض باسم الإله وكانت تتخذ سبيلها إلى خزائن الهياكل إما مباشرة أو بشتى الأساليب والحيل ولم يكن الملك يعد ملكا بحق في أعين الشعب إلا اذا خلع عليه الكهنة سلطته الملكية " واخذ بيد بل" واخترق شوارع المدينة في موكب مهيب ممسكا صورة مردك وكان الملك في هده الاحتفالات يلبس زي الكاهن وكان هذا رمزا إلى اتحاد الدين والدولة ولعله كان أيضا يرمز إلى أصل الملكية الكهنوي.

وكانت تحيط بعرشه جميع مظاهر خوارق الطبيعة ومن شان ذلك كله إن تجعل الخروج عليه كفرا ليس كمثله كفر لا يجزى من يجرؤ عليه بضياع رقبته فحسب بل يجزى أيضا بخسران روحه وزادت ثروة الهياكل جيلا بعد جيل كلما اقتسم الأثريكي المدنبون أرباحهم مع الآلهة وكان الملوك يشعرون بشدة حاجتهم إلى غفران الآلهة فشادوا لهم الهياكل وأمدوا صاب الطعام والأثاث والعبيد ووقفوا عليها مساحات واسعة من الأرض وخصوصا بقسط من إيراد الدولة يؤدونه إليها في كل عام[2] ، ولقد ظلت بلاد بابل في واقع الأمر دولة دينية خاضعة لأمر الكهنة على الدوام من أيام الباتسينين أو القساوسة الملوك السومريين إلي يوم تتويج بنوخد نصر.

---

[1] - ترجمة : محمد نبيل نوفل وفاروق حافظ القاضي ، ملحمة جلجامش، دار المعارف،مصر 1970 .

[2] – ول وايريل ديورانت،قصة الحضارة، تقديم:د. محي الدين صابر، ترجمة د. زكي نجيب محمود ج2، مجلد 1، ص ص 211،2012.

فالأمم تولد رواقية وتموت ابيقورية يقوم الدين إلى جانب مهدها(كما يقول المثل القديم) وتصحبهما الفلسفة إلى قبرها ففي بداية الثقافات كلما ترى عقيدة دينية قوية تخفى عن(القوم) أعين القوم عنه الأشياء وترفق بين طبائقهم وتبث في قلوبهم من الشجاعة ما يستطيعون به أن يتحملوا الآلام ويقاسوا الصعاب وهم صابرون ،تقف الآلهة الى جانبهم في كل خطوة يخطونها ولا تتركهم يهلكون الاحين يهلكون وحتى في هذه الحال يحملهم إيمانهم القوي على الاعتقاد بأن خطاياهم هي التي أغضبت الآلهة فانتقموا منهم . ذلك أن ما يصيب الإنسان من شر لايفقدهم إيمانهم بل يقويه في قلوبهم فإذا جاء النصر وإذا نسوا الحرب لقوا ما الفوه من (الأرض) الأمن والسلام ،ازدادت ثروتهم واستبدلت الطبقات المسيطرة لحياة الجسم حياة الحواس والعقل وحلت اللذة والراحة محل الكدح والمتاعب واضعف العلم الدين بينما يضعف التفكير والدعة ما في الناس من رجولة وصبر على المكاره وأخيرا يبدأ الناس يرتابون في آلهتهم وينبدون مأساة المعرفة ويلجؤون إلى كل لذة عاجلة زائلة يعتصمون بها من سوء مصيرهم .

ولذا تعتبر الحضارة كالحياة صراع دائم مع الموت وكما ان الحياة لا يتسنى لها تحتفظ بنفسا إلا إذا خرجت من صورها البالية القديمة واتخذت لها صورا وتخذت لها صورا أخرى فنية جديدة فكذلك الحضارة تستطيع البقاء مزعزعة الأركان بتفسير موطنها ودومها .ولعل هذا الدين رغم ما فيه من عيوب قد رقق من طباع البلبلي المعادي وجعله إنسانا مؤدبا سلس القياد إلى حد ما ،وإلا كيف نفسر اكرام الملوك للكهنة [1]

---

[1] - المرجع السابق ص 255، 187، 229 .

ففي ملحمة جلجامش مثلا نجد البعد الفلسفي يخيم على كامل الملحمة أن البعد المتمثل في مسألة الموت وحبليه الصراع بين البقاء والفناء لكن حينما ندخل العالم السفلي مع انكيدو لا نجد هناك فلسفة وإنما وصفا لحالة أناس هناك[1].

إن الأسطورة من الناحية التاريخية تتبع الطقس الديني وترتبط به أنها الجزء المنطوق من الطقس إنها القصة في تمثيلها الطقس الديني[2]

وملحمة جلجامش باعتبارها دليل على المصادر الشرقية مما يمكن أن تكون وصلت لأسطورة أو ليس ،فليست مغامرات هذا الأوليس السومري الا برياورلي الخلود[3] ، وهذا تأكيد آخر على أن الملحمة التي تأخذ مصدرا أسطوريا هي ملحمة تعود في أصولها الأولي إلى الجانب الديني الذي كان المصدر المهم في إرساء وإملاء قواعد العالم الأخر .

---

[1] – منير بن الديب ،الظاهرة الاسكتولوجية في الأدب من خلال رسالة للغفران المعدي والكوميديا الالاهية لداتي اليجيري رسالة ماجيستير ،جامعة قسنطينة 2008 ص 39 .

[2] – رني ويليك ،نظرية الأدب .تع :عادل سلامة ،دار ... والمملكة العربية السعودية ص 260

[3] – فرنان ،اوبير ،الادب اليوناني ،تز،هنري زنميت،ط1 ،بيروت – باريس 1983 ص 28 .

الفصل الثاني

وصف العالم الآخر في كتاب الموتى الفرعوني

الفصـــل الثانـــي: وصف العالم الآخر في كتاب الموتى الفرعوني

الأسكاتولوجيا المصرية والعقائد الجنائزية (عقائد ما بعد الموت):

مثلما شكلت عقائد ومتولوجيات الأصول(وخلق العالم الكوسموغونيا) والآلهة(الثبوغونيا) والإنسان(الأنتروبوغونيا) أساس الأصوات الحليفة كذلك شغلت عقائد وموتولوجيات النهاية وموت العالم الكوسمو اسكاتولوجيا(cosmo –eschatolojy) والآلهة ثيوسكاثولوجيا (theo– escatoloIy) والإنسان أنثروبوسكا تولوجيا(anthro–escatolojy) أساس لاهوت الموت والنهاية ونشأت من البداية والنهاية (الخليقة والموت) عقائد العود الأبدي ودورات الحياة والموت الكونية والإلاهية والبشرية وتحمل جميع الأديان نظامها الغسكاتولوجي الدقيق ضمن أساطيرها ومعتقداتها صبغة واضحة أو ضمنية.

والإسكاتولوجيا المصرية عبرت عن نفسها في عقائد نهاية العالم والآلهة ولكن تأكيدها الواضح كان في عقائد موت الإنسان التي يسميها الباحثون العقائد الجنائزية[1].

علينا أن نعرف أولا أنه ما من شعب علم من التاريخ كالمصريين اهتم بعقائد ما بعد الموت (الجنائزية) ورصد لها كل هذا الإرث المتميز من تراثه الديني والروحي ويبدو لنا أن هناك سببين كبيرين وراء ذلك السبب الموضوعي يكمن في بيئة وأرض مصر نفسها فقد كانت تربة مصر ومناخها يحفظ الجسد الإنساني بعد الموت إلى أقصى درجة ممكنة وكان النيل يفيض صيفا في مواعيد دورية ثابتة كأنه يوحي بدورة حياة مت، جددة كل عام وكانت الشمس صحوها ووضوحها ودروتها اليومية وما توحيه من حياة و موت وبعث وخلود مركز الدين المصري.

---

[1] - خزعل الماجدي ،الدين المصري، ،دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الاردن، الطبعة العربية الاولى 1999،ص191

أماالسبب الثاني فكان في الفكرالديني المصري الذي كان لا يفرق كثيرا بين الآلهة والإنسان وأن الموت ما هو إلا حاجزا بين عالمين متصلين هما عالم الحياة وعالم الآخرة وهكذا نظر الدين إلى الآلهة والناس والموتى كأنهم مجتمع واحد ولذلك اخترع ما يناسب هذه الفكرة من دعائم شكلت فيما بعد عقائد ما بعد الموت[1].

وقد نشأت عقائد البعث والخلود مبكرة في مصرربما امتدت في الباليوليت و نضجت في النيوليت من خلال عادات الدفن في العصر الحجري الحديث وكانت بيئة مصر ومناخها الوسط المناسب لنمو مثل هذه الأفكار ولعل أهم ما اتفقنا عليه هوما اصطلحنا عليه بـــ(عالم مابعد الموت) الذي يسمى بالمصرية (توات أودوات) إن تسمية العالم السفلي تسمية خاطئة كما يرى ذلك بدج لأن هذا العالم لا يقع أسفل الارض فيما كان في السماء وكذلك تسمية الجحيم لأن مفهوم الجحيم لدى المعاصرين يمثل أفكارا غريبة على أغلب المدارس الدينية المصرية ولأنه ليس جحيما فقط فهو عالم حساب وجنة أيضا ولذلك فهو ليس بـــ(أفردوس) او جنة ولا تدل كلمة(عالم الموتى) على خلود أو بقاء الناس أحياء بعد الموت ولذلك نرى أن أنسب كلمة مقابلة لذلك العالم هو (العالم الآخر) أو الآخرة ، فهو مصطلح دقيق يمكن أن يدل على تنوع ذلك العالم وما يحتويه من عوالم الحساب ، والجنة والجحيم وما بينهما هو أربعة عوالم في آن واحد لا تقع في الأعلى أوفي الأسفل فقط هي (القبر،الحساب،الجنة،النار).

---

[1] – خزعل الماجدي ،المرجع السابق، ص191

1- نصوص الأهرام(pyramides): وهي النصوص المخصصة للملوك والتي زينت بطون وجدران الأهرامات الداخلية ،وقد احتوت على تصورات قديمة يمكن أن نسميها (النصوص النجمية) حيث شرحت كيف يتحول الملك بعد الموت إلى نجم من النجوم القطبية أما النصوص الشمسية فهي نصوص الأهرام المتأخرة التي تشرح رحلة الملك بصحبة إله الشمس(رع) اليومية عبر السماء[1].

2- نصوص التوابيت أوالنواويس(coffintests) : وهي النصوص التي أتى اغلبها من الدولة الوسطى ودونت على التوابيت وكانت ضمانا للمتوفي بالإستمتاع بحياة خالدة بعد موته مثل حياة الملوك في نصوص الأهرامات ،ثم اصبحت بعض التعاويذ الجديدة التي أعدت لنصوص التوابيت الاساس الذي قامت عليه بعض فصول كتاب الموتى الذي يعد أعظم إنجازات الدولة الحديثة في هذا المجال.

ولأن نصوص التوابيت كسرت احتكار الملوك للآخرة فقد كانت أكثر شعبية من نصوص الأهرام وارتبطت بالعقيدة الأزورية حيث يتخذ المتوفي لنفسه إسم (أوزوريس) وأضيف لها بعض النكهة السحرية من خلال التعاويذ والرقي وتتكون نصوص التوابيت من عناوين تعاويذ ورقي مثل:

* تعويذة ضد الفناء في عالم الموتى(أولتجنب الموت الثاني)

* تعويذة لتناول الخبز في عالم الموتى

* تعويذة لكف اذى الثعابين والتماسيح

* تعويذة الاتقاء للتعفن ولتجنب العمل في عالم الموتى

---

[1] - انظر mercer 1952

وقد قام العالم (دي بك) بنشر هذه النصوص ، وتشيرإلى الترجمة التي قام بها [1]

3- كتاب الموتى(the book of dead): وهو إصطلاح حديث لمجموعة من البرديات كان المصريون يشيرون إليها باسم (تعاويذ الخروج نهارا) وهذا العنوان يوحي بقدرة تلك النصوص على أن تمكن المتوفي من مغادرة قبره.

4- كتاب البوابات: وهو كتاب جمع من جدران مقابر ملوك الدولة الحديثة وينقسم إلى(12) قسما بقدر ساعات الليل الإثني عشر ويصف رحلة قارب الشمس التي ارتبط بها الملك بعد غروب الشمس في الليل عبر العالم الأسفل المكون من إثنى عشرة(12) بوابة. ويتطابق الملك هنا بأزوريس أيضا .

5- كتاب الدار السفلى وما في العالم الآخر: وهو كتاب مكون من إثنى عشرة(12) قسما وهو رواية أخرى لكتاب البوابات ومقاتلة(رع) ثعبان الظلام أبو فيس[2] .

6- كتاب الكهوف: وهو كتاب مكون من ستة (6) أقسام الذي يحتوي مع كتاب البوابات، على صورة لمحكمة أوزوريس التي يصلها إلى الشمس في منتصف الليل وغير ذلك ويحتوي على كيفية شروق الشمس ودفع الحجرات لقرص الشمس .

7- كتاب الليل والنهار: وهو كتاب مجموع من مقابر وتوابيت الدولة الحديثة ويتعلق بميلاد الشمس من الإله (تحوت).

8- كتاب أحمر:وهو كتاب عن إله الأرض.

9- كتاب البقرة المقدسة.

---

[1]- ر.او،فوكنر(fanlkner1973 p7fanlkner1973 p7)

[2] - خزعل الماجدي ، الدين المصري ،دار الشروق والتوزيع ، عمان الاردن ، الطبعة العربية الاولى، ص194

10- كتاب الطريقين: الذي يشرح ذهاب الميت بعد المحاكمة إلى طريقي الماء والأرض هذه الكتب تمثل صفحة واحدة من الروح المصري القديم المتعلق بعالم الآخرة [1]

وفي هذا العالم أي عالم الآخرة هناك جنة ونار فالجنة السماوية المصرية تحتوي على كل عناصر الجنة التي ذكرتها الأديان السماوية اللاحقة ، بل ويضاف إلى ذلك ذكرالربات اللائي يشبهن الحور العين والتراتيل السماوية التي تشكل أغاني الآلهة وتسبيحاتها للإله العظيم أثناء أداء عملها، فالأبرار والملوك هم اللذين كانوا يتمتعون بهذه الجنة ،أما الوصول إلى تلك الجنة فقد كان من خلال تحول الميت إلى طير أو صعوده إلى الجبال التي تلامس قممها أرضية الجنة الأبدية او من خلال سلم يستخدمه المتوفي عندما يحتاجه ولذلك ظهرت نمادج السلالم في المقابر، وكذلك هناك جنة أوزورية سفلى التي يصل إليها الميت عبر طريقي الماء والارض وبينهما طريق النار تسمى هذه الجنة (حقول القرابين)أو (حقول البوص) وهي مكان تحيا فيه الارواح في هناء وخير عميم ولقد صورت تلك الجنة على نسق أرض مصرفتظهرعلى رسوم اوراق البردى الجيزرية مقسمة إلى أحواض تفصلها قنوات الري[2] ويقوم الموتى فيها بمهام الزراعة تماما كما في الحياة الدنيا مثل الحرث والبذر و الحصاد وسط الحقول وبين قنوات الري ويبدو أن الجنة الأزورية لم تكن بفخامة الجنة الشمسية السماوية فهي تعكس احلام الفلاحين والمزارعين بحقل مثالي . ولقد كان المصريون يعتقدون أن الإنسان الخاطئ يتعرض للحساب والإعاقة ولفقدان بعض أعضاء جسده، ولكن النار لم تكن عقابا لقد كانت النار ضمن أدوات الكائنات الموالية

---

[1] – خزعل الماجدي، المرجع السابق ،ص ص 195، 209

[2] – سبنسبر 1987،ص172،171

للإله(رع) لتدمير الكائنات المعادية له وبذلك تكون النار عقيدة شمسية مرتبطة بأسطورة نزول رع اليومي إلى التوات ولاعلاقة له بالمخطئين.

وكانت النار تحتوي على حجرات تحرسها ربات معينات وفيها كائنات مقدسة تخرج النيران من أفواهها وكانت هذه النار تدمر أجساد وأرواح واشباح رؤوس الكائنات المعادية لرع أثناء مروره في التوات ومحاولتها إعاقة تقدمه ولكن كان بعض الناس أعداء (لرع) في الحياة وكافرين به ومحاربين له فإنهم بلا شك في الآخرة سيكونون ضمن من يحارب (رع)، أي من يعوقون تقدمه اليومي وربما كانت هذه النظرة سببا في تحول النار إلى نوع من العقاب في بعض الأديان اللاحقة (من كفر بالإله من الحياة مصيره النار)[1] ولهذا فقد اعتقد المصريون أن الحياة الدنيا قصيرة وزائلة وأن الحياة الثانية بعد الموت هي الخالدة والباقية ، وآمنو أن الروح تتعرض بعد الموت لمحاكمة تتناول ما أتاه الميت في دنياه من حسنات وسيئات فيجازى المحسن على إحسانه ويعاقب المسيء على سيئاته فإن خفت موازينه دليلا على أنه طاهر فيكون مصيره الجنة أما إذا ثقلت موازينه كان ذلك دليل على أنه آثم فيساق إلى عذاب الجحيم، واعتقد المصريون في الثواب والعقاب في الآخرة دفعهم إلى تسجيل أعمالهم الحسنة، والتبرؤ من أعمالهم السيئة.

---

[1] - خزعل الماجدي ،الدين المصري ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان الاردن،ط1 ،1999 ،ص117،118

1- سر الخلود عند الفراعنة:

كان حفظ أجساد الموتى والحرص عليها عند المصريين القدماء مما شغل دنياهم وملأ أسماع الناس من وراء ايامهم، كانت سلامة الهيكل العظمي ضمانا لعودة الروح إليه فتدعوا إلى تخليصه من جميع المواد الرخوة من جلد وغشاء[1] فقد سيطرت فكرة الحياة الأخرى على فكر الشعب المصري القديم أكثر من أي شعب آخر، وذلك بسبب طبيعة المصري القديم وكثرة تأمله فيما حوله من ظواهر مثل شروق الشمس كأنها تولد وغروبها كأنها تموت ثم تعود في اليوم التالي تشرق مرة أخرى، والفيضان الذي كان يجيء مرة واحدة في العام ثم ينقض ، منسوب النيل شبهوه كأنه إنسان قارب على الموت، ثم يجيء الفيضان مرة أخرى.

كل هذه الظواهر وتأملات المصري القديم أظهرت فكرة الخلود ولكن كان يجب الحفاظ على الجسد لتهدي إليه الروح بعد الموت ليحيا حياة أخرى. ومبعث ذلك في عقيدتهم أن الموت في عقيدتهم هو المأوى الأخير للإنسان المعروف في الإصطلاح المتداول بالقبر هو دار النعيم الأبدية تأوي إليه الأرواح بعد استقرار الأجسام فيها بأمن وطمأنينة ولهذا أحلوها من المكانة والإحترام المكانة الأبدية المطابقة لهذا الإعتقاد[2]، وكانوا يسمونها مراقد السعادة وليست مساكن الموتى.

المكتبة المركزية

[1] – سليمان رجب سيد احمد،ابتراك للطباعة والنشر ، القاهرة،ط1،2005 ،ص24

[2] –د/ لويس رينزويوليوس جيار، الطب والتحنيط في عهد الفراعنة تعريب د/ انطون ذكرى،ط2،1416ه مكتبة مدبولي القاهرة سنة 1996م،ص102،104

فيخصونها بحسب إعتقادهم بإقامة التذكار وتقديم النذور وتخصيص أفراد لتأدية الفرائض الدينية حولها بداخل ما يشيدونه قريبا منها من الهياكل والمعابد وكانوا يصفون الأرواح بالخلود[1] وكان ما غير هذا الدين توكيده فكرة الخلود.

فالمصريون يعتقدون أنه إذا أمكن أن يحيا وزير النيل ويحيا النبات كله ، بعد موتها فإن في مقدور الإنسان ايضا أن يعود إلى الحياة بعد موته وكان بقاء أجسام الموتى سليمة بصورة تستدعي النظر في أرض مصر الجافة.

مما ساعد على تثبيت هذه العقيدة التي ظلت ميسطرة على الديانة المصرية آلاف السنين والتي انتقلت منهم إلى الدين المسيحي[2] لقد كان المصريون يعتقدون أن الجسم تسكنه صورة مصغرة تسمى القرينة-الكا- كما تمكنه أيضا روح تقيم فيه إقامة الطائر الذي يرفرف بين الأشجار .وهذه الثلاثة مجتمعة الجسم والقرينة والروح تبقى بعد ظاهرة الموت وكان في استطاعتها أن تنجو منه وقتا يطول أو يقصر بقدر ما يحتفضون بالجسم سليما من البلى ولكنهم إذا جاءو إلى أوزير مبرئين من جميع الذنوب سمح لهم أن يعيشو مخلدين في"حقل الفيضان السعيد" أي في الحقائق السماوية حيث توجد الوفرة والأمن على الدوام .

إلا أن هذه الحقول الفردوسية لا يمكن الوصول إليها إلا باستخدام المعبد ولم يكن هذا الشيخ الكبير الطاعن في السن يقبل في قاربه إلا الرجال والنساء الذين لم يرتكبو في حياتهم ذنبا ما، وكان أوزير يحاسب الموتى ويزن قلب كل من يريد الركوب في كفته ميزان تقابله في الكفة الأخر ريشة يتأكد بذلك من صدق قوله. والذين لا ينجحون في هذا الإختيار في النهاية

---

[1] -سليمان رجب سيد احمد، فن التحنيط لدى قدماء المصريين،ايتراك للطباعة والنشر القاهرة ط1 ،2005 ،ص39

[2] - breasted ,down of conscience,46,83

يحكم عليهم بأن يبقو أبد الدهر في قبورهم يجوعون ويظمأون ويطعمون من التماسيح الشبعة ، ولا يخرجون منها أبدا ليرو الشمس[1].

ولهذا عد التحنيط مرتبط بالديانة المصرية القديمة وبفكرة عودة الحياة بعد الموت أو ما يعرف بالبعث بعيدا عن القبر والجسد ولم يتصور المصريون الخلود دون أن يكون للجسد فيه نصيب . ولهذا أولى المصريون القدماء عناية خاصة للحياة الثانية او الحياة ما بعد الموت وكانوا من اوائل الامم التي امنت بالبعث والخلود وكان للبيئة المصرية تاثيرها القوي في إعتقاد المصري في البعث بعد الموت ففيضان النيل الذي يغمر الارض ثم ينخفض منسوبه أدى بالمصريين إلى الإعتقاد في الحياة الثانية او الأبدية بعد الموت لأنهم أحبو حياتهم الدنيوية وطمعوا في أن يجعلوا من حياتهم الأخرى صورة مطابقة لها لذلك حرصوا على أن يدفنوا معهم كل مايحبونه ويحتاجون إليه من البشر كالكتبة والكهنة والخدم إلى جانب حيواناتهم وأدواتهم[2] ومن هذا المنطلق كرسوا جهودهم للتحضير المادي والمعنوي لعالم الخلود ومن هذه التحضيرات والإجتهادات:

- التحنيط
- إيداع كتاب الموتى مع الميت
- محاكمة الميت أو عقائد البعث والحساب

وقد اعتقد المصريون بأن الإنسان مركب من روح وجسد وشبح ، ولاحظوا أن الجسد هو الجثة المحنطة،أما الشبح فيرمز له بالتماثيل التي كانت توضع مع الميت في قبره، وكلمة

---

[1] - ول وايريل ديورانت ، قصة الحضارة، تقديم الدكتور/محي الدين صابر ، ترجمة الدكتورزكي نجيب محفوظ،ج2 من المجلد1،ص162،163

[2] - harari ®,lambert(g),op,cit,p 214

التحنيط مستمدة من كلمة الحناط التي هي طيب مكون من مسك وعنبر وكافور، ويطلق على الجسم المحنط اسم مومياء لما يعتريها من سواد يشبه القار المعدني أو ما يعرف بالإسمنت.

وجاءت فكرة التحنيط لدى المصريين بعد أن لاحظوا جفاف أجسام موتاهم الملفوفة في جلود حيوانات أو في الحصير ثم دفنها في فترة ماقبل التاريخ في المناطق الصحراوية وحسب دراسة نتائج الإكتشافات الأثرية تتلخص عملية التحنيط في إفراغ الرأس من المخ والجسد من الأمعاء ثم غسلها وحفظها في جدار على شكل تماثيل مخصصة لهذا الغرض بداخلها مواد كمياوية كالنطرون والصوديوم الطبيعي إلى جانب مواد طبيعية معطرة كالزيت والتوابل والعطور وبعد تجفيف الجثة لمدة زمنية معينة بفضل مناخ مصر الحار والجاف في آن واحد يتم لفها في قطع من الكتان ووضعها في تابوت خشبي مغلق منقوش على هيأة المتوفي بعد فتح فمها ووضع كمائم أو تعويذات بجانبها والجعران فوق صدرها ولم يقتصر التحنيط على الإنسان فحسب بل شمل الحيوان أيضا لما له من قدسية لدى المصريين بعد التحنيط الذي يدوم حوالي 40 يوما مع الطقوس الخاصة بذلك، يودع المصريون مع الميت كتابا خاصا يعرف "بكتاب الموتى"وهي مجموعة نصوص كتبت على ورق البردى ظهرت في عهد الدولة الحديثة (1570-1088ق.م) واستمرت حتى الفترة الرومانية الممتدة من عام31 إلى330م[1] ولكن إسمه الذي أطلقه قدماء المصريين عليه هو"الخروج في ضوء النهار" والغرض الأساسي الذي كان قدماء المصريين يضعون هذه التعاويذ هو إرشاد روح المتوفي في رحلته في العالم الآخر وفي كتاب المتوفي تدون عادة

[1] - د. شارن شافية، حضارة مصر الفرعونية،ديوان المطبوعات الجامعية 05،2009 ،ص82،83

جميع الأعمال الصالحة التي قام بها المتوفي خلال حياته، والأعمال الشريرة التي تجنبها والغرض من وراء هذه النصوص تزويد المتوفي بزاد فكري في رحلته الشاقة إلى السماء أو إلى العالم الآخر والفوز بالخلود بعد قراءة مضمونها أمام أوزوريس ويتضمن كتاب الموتى192 فصلا ، يدور موضعها حول بزوغ رع وغروبه ، فتح فم المتوفي واستنشاق الهواء، وشرب الماء في العالم السفلي والتحول إلى صقر ثم حاكم للأمراء ثم إلى زهرة اللوتس، وفتح المقبرة والحصول على زورق في السماء والجلوس مع الآلهة الكبارلمعرفة الأرواح ووضع القلادة الذهبية المرصعة بالعقيق للفرعون.

ومن جملة ما جاء في هذا الكتاب حول الخلود" يا أوزو ريس المدح لك يا رب الأبدية....يا من تعددت صوره ومناقبه بالغة العظمة....إن إزيس تحتضنك وتطرد الأشرار بعيدا....يامن أنت الأبدية والخلود" وقد جاءت في الإعتراف السلبي الوارد من بردية بنسني اعترافات عديدة اخترنا بعضها بقول آنو"هلا....يامن خطوتك واسعة....إني لم أرتكب إثما لم أسرف لم أسط..لم أقتل ولم أرتكب أذى....لم أختلس القرابين...لم أقم بتخريب الأرض المحروقة...إني لم أعدر زوجة رجل..إني لم ألوث أبدا المياه..لم ألعن إلها أبدا...لم أدنس قرابين الألهة...لم أسرق قرابين الألهة المباركين.."

ويتجلى من خلال هذه الإبتهالات أهم الآلهة المصرية المرتبطة بكتاب الموتى وهي:

أوزوريس ، إزيس، حورس، ست، نفتيس، آنوبيس، تحوتي، ماعت وأخيرا حتحور[1].

- **أوزوريس:** جسد في طبيعة الحياة الخالدة الأبدية وسرعان ما أضيفت إليه صفات رع وآتوم وآلهة أخرى، وصار في النهاية اله الموتى وهو الامل الرئيسي في الخلود ورمز

[1] – المرجع السابق ،ص85،86.

تجديد الحياة النباتية والحياة في السماء على اعتبار أن الشمس بعد بزوغها يمكن ان تشرق من جديد ولكسب الحياة الابدية كانت بعض العبارات تردد أمام أوزوريس منها:

"لم اقس على الفقراء ولم أجوعهم ولم أسئ معاملة الناس ولم احمل نفسا فوق طاقتها ولم أسرق ولم أكذب ولم أتعرض للحيوانات المقدسة ولم أسئ إلى ملكي أو إلى أبي ولم أقسم بالباطل ولم أتلف زرعا ولم الوث مياها ولم أغش في مسح الحقول...بل قمت باحترام الآلهة فأنا طاهر أنا طاهر...."

إزيس: زوجة أوزوريس وهي آلهة محلية في الدلتا غزت العالم القديم كإلهة عظيمة وساحرة توجد في كل مدينة وفي كل إقليم وكان المصري يعلق أهمية كبيرة على حمايتها في رحلتها العسيرة إلى العالم الآخر.

حورس: يحتل مكانة معتبرة في اللاهوت المصري كإله للشمس والقمر وراعي الافقين

ست: يحتل مكانة فريدة في اللاهوت المصري فهو ثامن أعضاء هيأة التاسوع المقدس وهو في الأسطورة الأزورية رمز الشر الذي يجب محاربته وهو في كتاب الموتى تارة إله تتنزل عليه اللعنات وتارة أخرى إله يجب مهادنته وتجنب شره.

نفتيس:هي العضو الأخير في التاسوع الإلهي هي شقيقة أوزوريس وإزيس وست في الأسطورة الأزورية هي رفيقة إزيس في رحلتها الشاقة لبعث أوزوريس بعد معركته إسلامية مع أخوه ست وهي إيضا شريكة إزيس في حماية الموتى

أنوبيس :سيد الجبانة وحامي المومياء التي تؤدي دورا هاما في محاكمة الموتى تنسب إليه المشاركة في البحث عن جثمان والده "أوزوريس" الممزق من قبل أخيه ست بعد تحنيطه

وجمعه وبعثه في كتاب الموتىويحمل أسماء كثيرة"كسيد الأرض المقدسة"أو الاله الحارس أوالمراقب للتحنيط ومرافق الروح إلى السماء .

تحوت:إله الحكمة في اللاهوت اعتبر خالق نفسه الإله العظيم للأراضي والسماء والبحر والهواء وإله القمر ورسول الآلهة .

ماعت: خصوصيتها التوصل إلى أرض التصورات العقلية فيما يتصل بالكون والعالم والإنسان وتضم تعابيرمعنوية عرفها الإنسان كالحق والصدق والإستقامة.

حتحور:إلهة الحب والجمال والسعادة والسماء ومعنى اسمها الحرفي"منزل أو مقر حورس" كما وضعت كممرضة للفرعون وكرمز للسماء وكمر ضعة للفرعون وكرمز للسماء وكمرشدة للموتى في العالم الآخر[1]

قال هيرودوت المؤرخ اليوناني"إن المصريين هم أول الشعوب الذين اعتقدوا بخلود النفس"ووردفي النصوص المنقوشة على أن هرام التي يرجع تاريخها إلى الأسر الأولى أما النفس خالدة لا تموت أبدا"

وكان في اعتقادهم أن النفس مؤلفة من جملة أجزاء:

- من(با):أي النفس وهويرسم طير
- من(كا) اي الجسم الثاني للإنسان وهو يرسم ذراعين مرفوعين
- من(خو)أي النور وهو يمثل الروح
- من(اب)أي القلب وهو الذي نراه في مشهد أوزوريس الحامل في كفة الميزان الإلهي مجموعة حسنات المتوفي وسيئاته.

[1] - شارن شافية ، المرجع السابق ،ص87،88

لقد ربط اللاهوت المصري التكوين الروحي واللاهوتي للإنسان بالجسد الكوني كله ، ودلك عن طريق أبناء حورس الدين يمثلون جهات الكون الأربع حيث توضح في آنية تحمل أشكالهم الأحشاء الداخلية للميت وتساعدهم في دالك آلهات كما في المخطط التالي : [1]

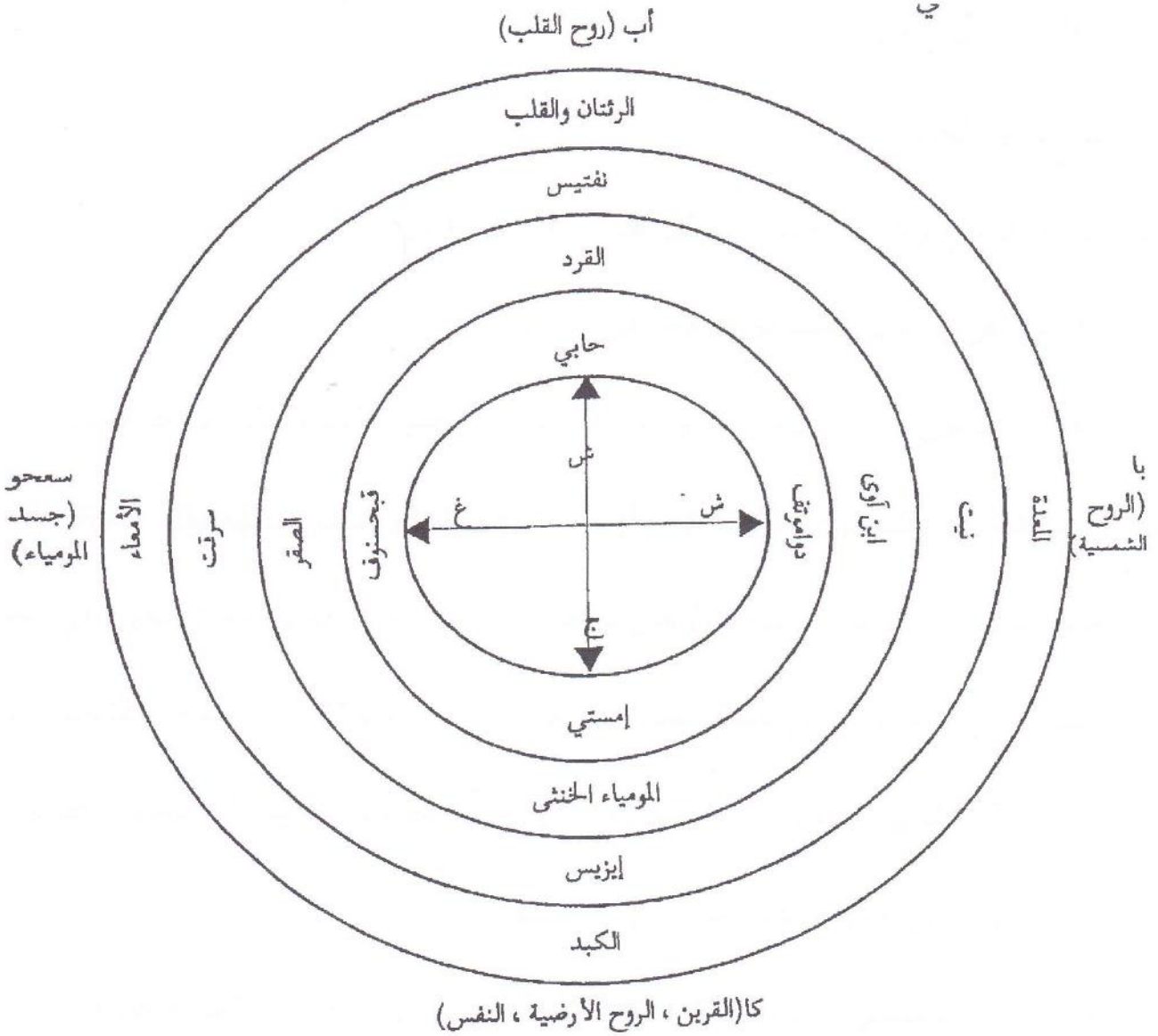

جدول أو مخطط (٩) الروح والكون في اللاهوت المصري

الدوائر من الداخل ١- أبناء حور (حورس) في جهات الكون الاربع .
٢-الرمز الحيواني للأبناء (رؤوس الجرار الكانوبية) ٣-الإلهات الحارسات للأعضاء .
٤-الأعضاء التي تحفظ في الجرار الكانوبية . ٥- أقسام الروح الإنساني .

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المكتبة المركزية
مركز الوضع مؤجل

[1] - خزعل الماجدي، الدين المصري، دار الشروق للنشر و التوزيع عمان الأردن، ط 1 ، 1999، ص 190.

- من(ذن): أن الإسم يرسم حلقة مستطيلة وهو الذي يخلد ذكرى المتوفي ويحييه.

- من(خاييت):أي الخيال.

- من (سامو):أي القوات[1].

ويقول د/بول غليونجي" [2]تصور قدامى المصريين أن الإنسان يتكون من ثلاث عناصر على الأقل هي على التوالي:

انحات أو الجسد.

البا:أو الروح وكانت تصور بشكل طائر له رأس آدمي.

الكا:أو القرين الذي لعب دورا هاما في حياتهم.

ويقول د/لويس رينز:"أنهم اعتقدوا خلود النفس وأذعنو بالحياة الآخرة بعد الموت"

ولهذا فتصور المصري القديم كان أن الحياة في العالم الآخر مثلها مثل الحياة على الأرض حيث يوجد سماء مثل سماء الأرض ونظرا لأن الزراعة كانت عماد الحياة في مصر أيضا ستكون في العالم الآخرحيث تصور العالم الآخر حقولا من القمح والشعير يحصدونها ويتمتعون بالخير الوفير لكن النبلاء كان من الصعب عليهم أن يعملوا فظهرت حقول الأوباتشي التي تمثل الخدم والخبازين وغيرهم.

2-البعد الديني: الخوف كما قال (لوكريسش)أول أمهات الآلهة وخصوصا الموت،فقد كانت الحياة البدائية محاطة بمئات الأخطار، وقلما جاءتها المنية عن طريق الشيخوخة الطبيعية فقبل أن تدب الشيخوخة في الأجسام بزمن طويل كانت كثرة الناس تقضي بعامل

---

[1] - د /لويس رينزر ويوليوس جيار ، الطب والتحنيط في عهد الفراعنة، تعريب د/انطون ذكرى ،ط2،سنة1416ه،مكتبة مدبولي ، القاهرة سنة1996م،ص108،109

[2] - paul ghalioungut,healthand healing in ancient in egupt,zeinab,el dawakhy,dur el maaraf,1965

من عوامل الإعتداء العنيف أو عرض غريب يفتك بها فتكا ،ومن هنا لم يصدق الإنسان البدائي أن الموت ظاهرة طبيعية[1] ، وعزاه إلى فعل الكائنات الخارقة للطبيعة وتعاونت عدة عوامل على خلق العقيدة الدينية ، فمنها الخوف من الموت ومنها كذلك الدهشة لما يسبب الحوادث التي تأتي مصادفة أو الأحداث التي ليس في مقدور الإنسان فهمها ومنها الأمل في معونة الآلهة والشكر على ما يصيب الإنسان من حظ سعيد ،الأثر الغريب الذي تحدثه أجرام السماء في الأرض والإنسان ، لقد بهت الإنسان البدائي لهذه الأعاجيب التي يراها في نومه وفزع فزعا شديدا حين شهد في رؤاه أشخاص اولئك الذين يعلم عنهم علم اليقين أنهم فارقوا الحياة لقد دفن موتاه بيديه يحول دون عودتهم؟ لقد دفن موتاه بيديه مع الموتى ألوان الطعام وسائر الحاجات حقا لا يعود الميت من جديد فيصب عليه لعنته:بل كان أحيانا يترك الميت الدار اتي جاءه فيها الموت وينتقل هو إلى دار أخرى وفي بعض البلدان كان الإنسان البدائي يخرج الجثة من الدار من خلال ثقب في الحائط لامن بابها ثم يمر بها حول الدار ثلاث دورات سريعة لكي تنسى الروح أين المدخل إلى تلك الدار فلا تعاودها أبدا مثل هذه الأحداث التي كانت تصادف الإنسان البدائي في حياته أقنعته بأن كل كائن حي له نفس أو حياة دفينة في جوفه يمكن انفصالها عن الجسد إبان المرض والنوم والموت ،وليست الروح بقاصرة على الإنسان وحده بل بأن لكل شيء روحا والعالم الخارجي ليس موتا ولا خلوان الإحساس لكنه كائن حي دافق بالحياة [2].

---

[1] - williams,h,s,history of the science,i,15

[2] - carpenter,e dward,pajan and choistian creeds,8

ما من أمة في العالم القديم تأصل فيها الدين وامتزج بكل مظاهر مدينتها امتزاجا قويا عميقا كالأمة المصرية.

قال هيرودوت"إن المصريين كانوا أشد الناس تدينا فكانوا يعتقدون أن كل شيء في العالم ملك للآلهة وأنهم منبع كل خيروأنهم على علم برغباتنا الدنيوية وأن في استطاعتهم في كل وقت أن يتدخلوا في أحوال البشر.

كان إهتمام قدماء المصريين بالآلهة والموتى يفوق إلى حد بعيد اهتمامهم بأنفسهم فكانوإذا شرعوا في تشييد قصر لملايين السنين أو أرادو بناء مسكن أبدي في غرب هيبة جلبوا لها الأحجار والمعادن والأخشاب الجيدة مهما بعدت أماكنها وارتفعت أثمانها كي لا تضارعها مبان أخرى في جمالها ومتانتها ،ومع هذا فإن منازلهم التي يعيشون فيها كانت تبني بالتبن،وكانوا يقلدون بالرسم والأحجار والمعادن ولذلك بقيت المعابد والمقابر مددا أطول من المدن وسعادة الحياة على ضفاف النيل جعلت قلوب المصريين تفيض اعترافا بجميل الآلهة سادت كل المخلوقات وقد دفعهم هذا السبب نفسه إلى الإمعان في الإستمتاع بأطاليب الحياة حتى وهم في القبور وقد اعتقدوا أنهم حققوا هذه الغاية عندما غطوا جدران مقابرهم بالنقوش الغائرة والرسوم الملونة التي تمثل الشخص الراقد داخال التابوت يعيش أرضه تصحبه زوجته وأولاده وأقاربه وخدمه ولفيف من الصناع والفلاحين [1].

ومن وصايا أحد الملوك الطاعنين في السن"يجب ألا تؤمن بأن كل شيئ سينتهي إلى عالم النسيان وفي يوم الحساب لا تعتمد على طول سنين الحياة فإن الحياة عند الآلهة ساعة واحدة

---

[1] - بيير مونتيه ، (الحياة اليومية في عهد الرعامسة) ،ترجمة د/عزيز مرقس، مراجعة ،د/ عبد الحميد الدواخلي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشرة ص2= (pierre montel,lavie quatidienne en egypte autemps des ramses(sienlsavantj.c)

مما تعدون ذلك بأن حياة الإنسان تستمر بعد وفاته وأن أعماله تتكدس بجواره ومن تقدم بين يدي قضاة الموتى دون ذنوب كان بمثابة إله واستطاع أن يسير في حرية مثله في هذا مثل سادة الأبدية"[1]

وقد استحوذ على المصريين القدماء التفكير في الحياة بعد الموت وكانت ترتبط عندهم على نحو ما بحالة من عدم التغيير فيما يتصل بالعالم المادي فلقد كانوا يألفون الدواد والإستمرار ذلك أن أجسام الموتى لاتتحلل إذا ألقي بها في رمال مصر لأنها تجف أو تبقى بالتجفيف.

ويوجد في المتحف المصري اليوم أكثر من جثة (لاهياكلها العظمية)مختلفة بالحالة التي كان عليها المتوفي منذ أكثر من 500-5سنة وعندما بدأ المصريون القدماء في استخدام التوابيت كانوا يقومون بتحنيط أجساد الموتى تحتفظ بالتماسك الذي اكتسبته طبيعيا بالتجفيف وقد أمكن الكشف عن مومياءات مصرية من كافة العهود في حالة سليمة ولم تكن الأهرام الهائلة سوى مجرد قبور للفراعنة بنيت لكي تبقى إلى الابد وكانت الكنوز النفيسة تدفن مع الجثمان المحنط الذي كان يسجى في تابوت خشبي فقد كان المصريون يعتقدون أن سعادتهم في الحياة بعد الموت تتوقف على بقاء اجسادهم وعلى اقتناء ممتلكاتهم العالم المادي[2].

فالدين يعتبر من أكثر العوامل تأثيرا في نفوس قدماء الآدميين لأنه يفسر لهم سير هذا الكون بتعاليمه الجذابة، ويردعهم بزواجره الرهيبة،ويشجعهم بإمالته المستديمة،ولهذا كان الدين في مصر من فوق كل شيء ومن أسفل منه ،فنحن نراه فيها في كل مرحلة من مراحله وفي

---

[1] – بييرو مونتيه ، المرجع السابق ،ص11

[2] – المعرفة المجلد 2 اللجنة العلمية الاستشارية للمعرفة الدكتور محمد فؤاد ابراهيم رئيسا،الدكتور حسين فوزي ، الدكتورة سعاد ماهر، الدكتورمحمد خال الدين الفندي، اعضاء الانتاج 1987،شركة انماء النشروالتسويق ش م م التوزيع الشركة الرقية للمطبوعات ش م م ،ص291

كل شكل من أشكاله من الطواطم إلى علم اللاهوت،ونرى أثره في الأدب وفي نظام الحكم وفي الفن وفي كل شيء عدا الأخلاق،وليس هو مختلف الصور والأنواع فحسب،بل هو أيضا غزير موفر[1] ولقد اهتمت الديانة المصرية القديمة بالعلاقة المتبادلة بين الإنسان والآلهة وهو أيضا النظام الذي يحكم علاقة الإنسان بالآخر وكيفية أدى الواجبات الروحية وطبقا لهذا المنعقد فإن العالم كان يدار طبقا لنظام أبدي صارم فتمثلت العقائد المصرية على الآلهة كآلهة الشمس والقمر والسماء والأرض والأساطير التي تكونت عنها تتضح من خلال النصوص المنقوشة على جدران المقابر والمعابد وأوراق البردي وأن الكهنة ورجال الدين يعلمون أن الآلهة هي رموز تدل على قدرة الخالق ومظهر قوته التي وحدتهم ومنحتهم الحياة[2].

إن القصص والأساطير المصرية تتحدث عن الآلهة والملوك والأبطال وعن الكون والحياة والموت وعن الحيوانات.

إن التاريخ لم يحفظ لنا إلا بعض مدلولات تتمثل في الآثار والرسوم التي وضعت على التماثيل وكتبت على الحجارة وزعم المصريون أن الآلهة والأبطال حكموا في مصر ثمانية عشر ألف سنة وكانوا في ذلك العهد يأكلون لحوم البشرحتى جاء أوزوريس وأبطل هذه العادة في حدود3004 ق.م.[3]

---

[1] – ول وايريل ديورانت ، قصة الحضارة، تقديم محي الدين صابر،ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود،ج2 من مجلد 1،ص155

[2] – ابو بكر ، عبد المنعم،اساطير مصرية،دار المعارف مصر،1954،ص19– الحناوي ،كمال الدين،اسطير فرعونية ،منشورات المكتبة المصرية بيروت ،د ت، ص4

[3] – المرجع السابق ،ص 4

لقد وصف الكاتب الإغريقي هيروديتherodotus المصريين القدماء بانهم"أقوى البشر تمسكا بالدين" لكنهم كانوا مشركين أي انهم يعبدون آلهة عدة،وكانوا يعتقدون أن هذه الآلهة تملك العالم وأنها ينبوع الحياة الذي يعم مصر لذلك فإن الشعب ينفق وقتا وجهدا عظيمين في بناء المعابد الرائعة أو إعادة بنائها وفي إقامته الطقوس الدينية والمهرجانات المعدة بإتقان،كل ذلك في محاولة إرضاء الآلهة وكان مجموع الآلهة المعبودة في ذلك الزمن أكثر من2000إله ،بما فيها الآلهة الاجنبية التي تجلب بسهولة من سوريا على الأخص،وتبنوا بعض الآلهة في الرسوم والتماثيل برؤوس بشر وبعضها الآخر برؤوس حيوان لكن بعض هذه الآلهة لم تكن أكثر من أشكال مختلفة لآلهة أخرى لأن لكل إقليم تشكيله الخاص أو الآلهة المحلية، وفي القرن الخامس حاول الملك أخناتون أن يبشر بالتوحيد أي الإيمان بالله الواحد لكنه وجد مقاومة عنيفة من كل من الكهنة ومن الشعب حتى أعاد خليفته توت عنغ آمون تعدد الآلهة[1] ، وليس في وسعنا أن ندرس المصري بل ليس في وسعنا أن ندرس الإنسان على الإطلاق إلا إذا درسنا آلهته [2].

وأهم هذه الأساطير المصرية- أسطورة أوزوريس- والتي جاءت عن طريق الإغريق أما الوثائق المصرية فتشير في نصوصها الدينية في هيأة شعائر وروايات وأن هذه الأساطير نشأت من شجرة نسب حورس ومن فعلين موت الملك وتحوله إلى أوزوريس وتنصيب إبنه على العرش لما يعنيه من تأليه الولد على الأرض في هيأة حورس وأن هذه الأسطورة هي

---

[1] – اللجنة العلمية الاستشارية د/ محمد فؤاد ابراهيم رئيسا،الدكتور حسين فوزي، الدكتورة سعاد ماهر،د . جمال الدين الفندي1987، المعرفة المجلد2،شركة انماء النشروالتسويق ش م م ،التوزيع الشركة الشرقية للمطبوعات ش م م ، ص306

[2] – وايريل ديورانت،قصة الحضارة،تقديم:د. محي الدين صابر، ترجمةد. زكي نجيب محمود ج2،مجلد 1،ص156

قصة الإبن المنتقم لأبيه لها جذور في أساطير العالم القديم والوسيط والحديث[1] كذلك الرومان تأثروا بالديانة المصرية فما زالت هناك تماثيل صغيرة للآلهة-إزيس- على ضفاف نهر الراين والدانوب[2] لهذا برز دور المعبود أوزوريس رغم أن آمون كان هو المعبود الأول في المركز الديني[3].

وقد عبد المصريون أشكالا متعددة من الآلهة كالقمر والذي كان من أقدم الآلهة التي عبدت في مصر ولكن الشمس في الدين كانت أعظم الآلهة فكان (رع) إله الشمس رب السماء والخلق(فهو في الواقع الذي خلق نفسه)وكان غالبا ما يصور في الرسوم براس صقر كرمز مقدرته على إرتياد السماء كالطائر،لكن (رع) لم يكن إلها واحدا إذ كانت له أشكال وأسماء عدة مقتبسة من الآلهة المحلية وكان (حورس) أحد هذه الأشكال وكان (أتوم)أو (آمون) وكان رع وأسرته يشكلون مجموعة التاسوع وهذه تعتبر آلهة الملوك[4]

وكانت هذه الروح الدينية غريزة خصبة بلغ من خصبها أن المصريين لم يعبدومصدر الحياة فحسب بل عبدوا مع هذا المصدر كل صورة من صور الحياة فكانت بعض النباتات مقدسة لديهم كالنخلة والحميزة،وكانت الآلهة من الحيوان أكثر ذيوعا عند المصريين من آلهة النبات ثم صار ت الآلهة في آخر الزمان بشرا ولم يكن آلهة مصر من الآدميين إلا رجالا متفوقين أو نساء متفوقات خلقوا في صورة عظيمة ناسلة ولكنهم خلقوا من عظام وعضلات ولحم ودم

---

[1] – كريمر ، صموئيل نوح،اساطير العالم القديم،ص56

[2] – حمادي عبد الهادي، كيف انتقلت حضارة مصر،المقتطف،سبتمبر،1936،ص313

[3] – موسوعة المعرفة المدرسية،الانسان يتحضر ويحارب،المجلد الثالث ،وزارة الثقافة2008 في اطار الصندوق الوطني لترقية الفنون والادب ،ص52.

[4] – اللجنة العلمية الاستشارية للمعرفة د/ محمد فؤاد ابراهيم رئيسا ،د/ حسين فوزي،د/سعاد ماهر،د/ محمد جمال الدين الفندي اعضاء ،1987، المعرفة المجلد2، شركة انماء النشر والتسويق ش م م، التوزيع الشركة الشرقية للمطبوعات ش م م،ص306

يجوعون ويأكلون ويظمأون ويشربون ويحبون ويتزوجون ويشيخون ويموتون[1] شانهم في ذلك شأن آلهة اليونان سواء بسواء وكانت هذه الآلهة-رع أو آمون كما يسميه أهل الجنوب وأوزير وإزيس وحورس- أعظم أرباب مصر ولما تقادم العهد امتزج(رع)و(آمون) وإله آخر هو(تباح) فأصبحت ثلاث صور أو مظاهر لإله واحد أعلى يجمعها هي الثلاثة وكان للمصريين عدد لايحصى من صغار الآلهة منها أتوبيس ابن آوى،وشو،وتفنوت،وونفتيس،وكث وثت....ومن أجل هذا كان الكهنة في مصر دعامة العرش كما كانوا هم الشرطة السرية القوامة على النظام الإجتماعي،وتطلب هذا الدين الكثير من التعقيد أن تقوم عليه طبقة بارعة في فنون السحر والطقوس الدينية لا يمكن الإستغناء عن براعتها للوصول إلى الآلهة وقصار القول أن هذه الأساطير كانت في جملتها أساطير دالة على الذكاء تعبر في تقوى وصلاح عن اعتراف الإنسان بفضل الارض والشمس[2].

3-البعـد التاريخـي:

أولا:المعتقدات والآلهة أو المعبودات:

يقول"ادولف ارمان[3] في موضوع المعتقدات والمعبودات أن"شعور الإنسان بالخوف من المجهول أدى إلى احترامه لكل القوى التي تؤثر في حياته دون أن يعرف كنهها، واعتقد الإنسان بوجود هذه القوى وكون في ذهنه صورا لها وأخذ يعطي لكل منها شكل معينا خاصا ، بل وأخذ يتمثلها على طريقته الخاصة ليجعل من بعضها أصدقاء ومن البعض الآخر أعداء:ومن

---

[1] - breasted,development,24-33 fraser,adonis,269.75,383

[2] - ول وايريل ديورانت،قصة الحضارة، تقديم:د. محي الدين صابر، ترجمة د. زكي نجيب محمود ج2، مجلد 1، ص ص ص161،160،157

[3] - ابو المحاسن عصفور، معالم،ص79

هذا الشعور نشأت الديانة التي لم تكن إلا الإعتقاد المسيطر على ذهن الإنسان بما يحيط به من حيوان وظواهر طبيعية ظاهرية وخفية نلاحظ أن المصريين كبقية شعوب العالم ظلوا منذ أقدم العصور يفكرون في معتقداتهم الدينية واعتبروا أن بتاح(ptah) هو أحد أهم الآلهة الذين خلقوا الكون والحياة والإنسان وهو أيضا الإله الخالق لمدينة منف أو ممفيس:وهو الذي يتحكم في القلب وفي اللسان وسيلة للتعبير ويعود إليهما الفضل في تحريك جميع اعضاء جسم الإنسان والحيوان معا.

وبصفة عامة تشمل الديانة المصرية آلهة مختلفة في جنسها وسنها وأهميتها وإذا كان الإله آمون على رأس هذه الآلهة فإن من أبسطها يمكن ذكر بتاح الآلهة اللبؤة وكذا بس(bés)الإله النوبي القزم وكما يلاحظ كانت عبادة الحيوان جزءا أساسيا في الديانة المصرية.

وعلى مر العصور أصبح لكل مقاطعة إله في فكرة محددة، وكان لهذه الآلهة علاقة وطيدة بمختلف ميادين الحياةكالنيل (التمساح والصحراء والصقر) والحق والعدل والصدق مع الآلهة ماعت(maat).

لذلك أدرك المصريون أن النيل والشمس مسؤولان خصوبة الأرض وارتبطت آلهتهم بهاتين القوتين الطبيعيتين العظيمتين،وإذا ارتبط فيضان النيل الموسمي باسم الإله حابئ فإن الشمس ارتبطت برع إله هليوبوليس(héliopolis) الذي هوالإله الرئيسي وأقدم الآلهة المصرية.وتعتبر الشمس عين رع اليمنى بينما يعتبر القمر عينه اليسرى[1] وتتجلى قوة الإله رع من خلال ما يقوله عن نفسه في أحد الأساطير"إني أنا الذي خلقت السماء والأرض وأرسيت الجبال معا

---

[1] - د/ شارن شافية،حضارة مصر الفرعونية،ديوان المطبوعات الجامعية،الساحة المركزية بن عكنون الجزائر-2009،ص77،87

وسويت ما عليها وانا الذي كونت السماء وأنوار الأفقين،ووضعت أرواح الآلهة فيها وأنا الذي فتح عينيه إلى الوجود والذي غمض عينيه فجاء الظلام للوجود،والذي بأمره يجري النيل والآلهة لا يعرفون إسمه أنا الإله"خيري"في الصباح و"رع في الظهيرة" "أتوم" في المساء[1].

وتعود فكرة تقديس المصريين للشمس إلى حركة شروقها وغروبها المنتظمة وفي إعتقادهم أن الشمس في حاجة إلى مركب يساعدها على الإنتقال من الشرق إلى الغرب ويشبهون ذلك بحياتهم الدنيوية.

وإلى جانب الشمس قام المصريون بتقديس السماء منذ أقدم العصور لما فيها من مظاهر إعجاز وروعة وخير وهي ترسل المطر وتحوي الشمس والنجوم كما تخيلوا أنها عالم الأرواح الصالحة في العالم الآخر ،وكان يردد في النصوص الدينية أنها مصدر الخيرات لكل من الآلهة والبشر.كما تخيلوها كبحر قدسي تعبر الشمس كل النهار،ومن بين الرموز التي اختارها المصريون للسماء الإله"نون" كما قدسوا النجوم واعتبروها كائنات إلهية قاموا بتقسيمها إلى مجموعتين،الأولى هي مجموعة النجم القطبي وتصور أنها تصحب الإله رع في رحلته النهارية وعدم رؤيتها أثناء النهار ويعزى فقط إلى ضوء الشمس المتوهج الذي حجبها والثانية هي النجوم التي تظهر في الشرق ويمكن رؤيتها في جزء من الليل ثم تختفي في الغرب ثانية وهي تشكل طاقم الموكب الليلي فتختفي واحدة تلوى الأخرى في الافق الغربي أثناء رحلة الإله في الجزء غير المرئي من الكون[2] ،موازاة مع عبادته للإلهة الشبيهة بالبشر والحيوان والنبات والجماد وقد أعطاها رموزا مختلفة.

---

[1] – ديانة مصر القديمة،نشأتها وتطورها،ترجمة ومراجعة عبد المنعم ابو بكر، ومحمد شكري ، القاهرة، د.ت،ص3

[2] – harari ®,lambert (g) ;op- cit-p90/91

ثانيا: التحنيـــط وفلسفـــة التاريـــخ:

يرجع أول استعمال للفظ فلسفة إلى فولتير ،وان كان ذلك لايعني أنها قد بدأت به وإنما ترجع إلى ابن خلدون على ما سيأتي بيانه .

تعد نقطة الانطلاق في فلسفة التاريخ لدى فولتير من استنكاره أن تصبح دراسة التاريخ أكواما مترامية من المعارك الحربية أو المعاهدات السياسية دون معنى مفهوم أو حكمة بادية ،أما نقطة الانطلاق في فلسفة التاريخ لدى إبن خلدون فهي التمييز الظاهر والباطن في التاريخ في ظاهرة لا يزيد على أخبار عن الايام والدول والسوابق من القرون الأولى[1].

ثالثا: التحنيـــط وقـــوة الديـــن:

رحلة مع أول حضارة أخلاقية يصحبنا خلالها بريستيد:

الواقع أنه لا توجد قوة أثرت في حياة الإنسان القديم مثل قوة "الدين" لأن تأثيرها ليشاهد واضحا في كل نواحي نشاطه، ولم يكن أثر هذه القوة في أقدم مراحلها الأولى إلا محاولة بسيطة ساذجة يتذرع بها الإنسان على ما حوله في العالم ويخضعه بما فيه الآلهة لسيطرته،فصار وازع الدين هو المسيطر الأول عليه في كل حين فما يولده الدين من مخاوف في شغله الشاغل ، أما فكرة المحاكمة في الحياة الأخرى وقد أخذت تتحدد بوضوح مطرد امتد إلى مابعد عام3000ق.م فلم تكن الفكرة في أقدم أشكالها تفترض حضور جميع الناس أمام المحكمة،وإنما افترضت محكمة عادلة كالتي توجد على وجه الأرض يحضر أمامها الأفراد لإصلاح الخطأ فكان في أول الامر لزاما على الشخص المتهم فقط أن يحضر أمام المحكمة في" الحياة الآخرة" ليظهر براءة نفسه.

---

[1] – احمد محمود صبحي،(في فلسفة التاريخ) ، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ،ص123

على أن فكرة المحاكمة العامة نشأت في باكورة العهد الإقطاعي قبل عام الفين ق.م ثم أصبحت فيما بعد في اوائل عهد الدولة الحديثة(حوالي1600ق.م)

لا تقتصرعلى حصر تفصيلي لكل المخالفات الخلقية وإنما صارت إمتحانا خلقيا قاسيا،بل معيار شامل للقيمة الخلقية لحياة كل إنسان[1] وقد اصبح الشعور يمثل هذه المحاكمة وزاعا خلقيا قويا،كما أراده أولئك الحكماء الذين خلقوه ،غير أن سلطان تلك المحاكمة ما لبث أن مسخ مبكرابالعوامل السحرية التي جاءت في كتاب الموتى الذي الفه كهنة المعابد للكسب منه إذزعموا فيه أن يكون وسيلة تساعد الميت على التخلص من العقوبة بمخادعة وتضليل ذلك القاضي الرهيب.

رابعا:طبيعـــة الإنســـان لـــدى المصـــري القديـــم:

الصورة التي كان يتصورها المصري القديم لطبيعة الإنسان ،فإنه كان يتصور أن شخصية الإنسان الحقيقية في الحياة تحتوي على الجسم المادي الظاهر وعلى الفهم الباطن ومقره في اعتقاده هو القلب والجوف وهما التعبيران الرئيسان عن "العقل" وتحتوي هذه الشخصية أيضا على الجوهر الحيوي المحرك للجسم ويقصد به النفس كما يلاحظ عند الكثير من الشعوب الأخرى غير أن هذا الجوهر الحيوي لم يكن مميزا بشكل ظاهر عن "العقل" وكان الإثنان يمثلان معا في رمز واحد هو طائر له رأس إنسان وذراعاه ونجده مصورا في المناظر التي على القبور وعلى توابيت الموتى يرفرف على المومياء ويمد لأنفها بإحدى يديه صورة شراع منشور وهذا الشراع هو الرمز المصري القديم"للهواء" أو "للنفس"،ويحمل في يده الأخرى

---

[1] – جيمس هنري بريستيد ، فجر الاسلام،ترجمة سليم حسن، مطبعة مصر القاهرة سنة 1933م،ص40

علامة هيروغليفية ترمز للحياة،والمصريون يسمون هذا الطائر الصغير الممثل برأس إنسان وجسم طائر"بان"[1].

وكان الكاهن يخاطب المتوفي مؤكد له أن آلهة السماء ستبعثه مرة أخرى "

ومن تلك الحقائق السابقة يتضح أن المصريين قد ابتدعوا للمتوفي فلسفة نفسية ساذجة حاولوا بها أن يعيدوا إليه حياة الفرد بطرق وعوامل خارجية عن ذاته وذلك بإشراف الأحياء وبخاصة الكاهن الجنائزي .

بعد بعث الجسم لابد من إعادة قوى الإنسان العقلية إليه واحد فواحدة ويتم حصوله عليها بوجه خاص بصيرورة المتوفي روحا"با" وبتلك الكيفية يعود المتوفي إلى الحياة مرة أخرى وهو حائز لجميع قواه التي تساعده على المعيشة في الحياة الأخرى[2] .

وعندما يبتدئ المتوفي حياة جديدة في الآخرة لا يعرفها كان يساعده في ذلك ملاك يحرسه يسمى"كا" يظهر في الوجود مصاحبا لكل إنسان من وقت ولادته ويرافقه في كل حياته حتى ينتقل قلبه إلى عالم الآخرة .

وكذا كان ملوك عصر الأهرام المبكر(أي القرن الثلاثين ق.م) يعتقدون في صيانة جثمانهم بالمحافظة على تلك الإجراءات فإنه كان بالبديهية أن يتطلعوا بثقة إلى أنهم سيعيشون عيشة خالدة في الحياة الأخرى.

كما أن الاعتراف بالحساب في الآخرة وبحاجة الإنسان إلى قيم خلقية يتصف بها في حياة الآخرة يعد في الواقع أعظم من ذلك أهمية في نفس الاتجاه فهذه الخطوة توضح لنا التحول من

---

[1] – المرجع السابق،ص42، 64،65

[2] – اعداد سليمان رجب السيد،فن التحنيط لدى قدماء المصريين، شركة ايتراك للنشر والتوزيع،القاهرة،ط1 2005،ص152

الإرتكاز على العوامل الظاهرية الخارجية عن شخصية المتوفي إلى الإعتماد على القيم النفسية الباطنية وبذاك بزغ فجر عقيدة خلود الروح لأول مرة على عقول البشر باعتبار الأبدية أمر يحصل عليه الإنسان بالروح لا بالجثمان[1].

خامسا:1 ثالـــوث مـــا بعـــد المـــوت:

أ- **الروح الأبدية:**وهي الروح الخالدة التي تسري في الظاهر والباطن وهي التي تغادرالجسد وتلحق بموكب الشمس في رحلتي الليل والنهار وتزور الجسد في رحلة النهار فهي الروح الشمسية للمتوفي.

وفي الغالب صورت البا على أنها طائر صغير له وجه يشبه وجه المتوفي وربما كان يعتقد أن الطيور التي تظهر على الأشجار التي غرسها المتوفي كان من بينها طائر البا .أما الأشكال الأخرى لالبا فهي (زهرة اللوتس،الثعبان المندفع من حفرة ،التمساح الزاحف من الماء إلى الأرض) بالروح تأخذ شكل الإنسان نفسه وتزور مومياءه في القبر.

ب- سا (الشخصية الوقورة للميت،الجثة المحنطة): إن جثة الميت المحنطة أو غير المحنطة كانت تسمى(سا) وقد يدل هذا الاسم على الكبد وهو يشير أيضا إلى أحد شكلي أو ولدي (رع) وهما(حو) و(سا) واسمهما الفرعوني الدقيق(سمحو)

ج-خابيت: (الظل) وهو الظل اللازم للإنسان حتى بعد بعثه داخل السماء ويسمى أيضا(شرت) وهذا ثالوث آخر مكون من روح وجسد ونفس على شكل روح أبدية(با) وجسد محنط(سا) وظل ملازم للإنسان.

2)-الثالوث الأبدي (الذي لايزول أبدا): وهوالتكوين الأبدي منذ الولادة وإلى الأبد.

---

[1] - المرجع السابق،ص66

أ-خت(الجسم المادي):وهو الجسد الإنساني الملموس وأن هذا الجسد تكوين دنيوي سرعان ما يذوب بعد الموت في القبر ولذلك حاولوا الحفاظ عليه من الفناء عن طريق التحنيط لكي يبقى على الارض بينما الروح (آخ) تصعد إلى السماء وحين يرمز الجسم المادي فلا أمل بالخلود مطلقا.

ب- آخ(الجسم الروحي):وهي الروح النورانية الشفافة التي تأخذ هيأة الجسد وهذه الروح تذهب إلى السماء بعد الموت وتبقى فيها إلى الأبد مع الإله"أوزوريس"[1] العلوي ، حيث تعقد تصميم قوة تقديم القرابين لتتحول إلى مقصورة حقيقية مسقفة عادة ما تبنى على شكل الصليب ولعل أشهر مقصورة ملكية هي مقبرة شبسكاف آخر ملوك الأسرة الرابعة وهو الملك الوحيد من ملوك الدولة القديمة الذي لم يشيد مقبرته الملكية على هيأة هرم وهي مصطبة كبيرة كانت مكسوة بغطاء من الحجر الجيري الاملس وللمصطبة معبد جنازي في الجانب الشرقي منها وعلى مقربة من مصطبة فرعون توجد بعض المقابر(أنظر مختار،الموسوعة المصرية 370).

3)- المقاصير المنحوتة في الصخرة: وتحتوي على لوحة الباب الوهمي التي يمكن للكاهن ان يرتل تعويذة القرابين امامها وربما غطيت جدرانها بالصور الملونة أو النقوش التي تمثل المواضيع الشائعة في مقابر الدولة القديمة.

وهناك أمثلة متميزة من الدولة الوسطى على المقاصير الجنزية المنحوتة في الصخر والمزينة بالنقوش، وكان التخطيط العام لها يتميز بوجود واجهة فخمة غالبا ما تتقدمها صفة معمدة وبها صالة واسعة ذات أعمدة منقورة في الصخر وفي نهايتها مقصورة تحتوي على تمثال . وقد أبرز وضع المقصورة في نهاية المقبرة الطبيعية المحورية لتخطيط المقبرة وأدى إلى

---

[1] - خزعل الماجدي،الدين المصري،دار الشروق للنشر والتوزيععمان الاردن،ط1 1999،ص185،184

ظهورمقصورة تحاكي شكل المعبد الصغير وتحتوي مقابر حكام بني حسن في الأسرة الثانية عشر على مقاصير ضخمة جدا بها أعمدة مضلعة ومقناة رتبت ترتيبا متناسقا ومتوازنا حول المحور الأوسط.

وكانت إضافة فناء في الخارج أمرامألوفا ويؤدي اليه طريق مع بناء من الأعمدة يمتد إلى نهاية الفناء أو يتم تشييد نصبين من الطابق إزاء المنحدر الصخري عند مدخل المقبرة وقد بالغ أمراء(قاو) في بناء مثل هذه الطرق المعمدة والمسقوفة التي تؤدي إلى مقاصير الدفن[1].

سادسا-**العالـــم السفلـــي:**

(اللاهوت الأوريدي:الحساب والجنة والنار):

مع متون التوابيت وبرديات كتاب الموتى ندخل إلى لاهوت جديد يحتفي بالعالم السفلي (تحت الأرض)ويترك السماء التي إحتفت بها نصوص الأهرام وقد كان السبب المباشر في شيوع مفاهيم الديمقراطية الدينية وكسر احتكاك الفراعنة للبعث والقيامة وشمول أفراد الشعب بامتيازات ما بعد الموت.

وفي المقابل تقدم لنا الحضارات المبكرة في الشرق الأدنى القديم فرصة فريدة لدراسة نشأة الدين وتطوره في منطقة ذات أجناس وثقافات مختلفة ظهرت فيها فيما بعد ديانات التوحيد الكبرى اليهودية،والمسيحية والإسلام التي تدين جميعها ببعض الدين للمراحل المبكرةفي الفكر الديني في بلاد ما بين النهرين موطن السومريين والبابليين والآشوريين.

ومنذ عصور ما قبل التاريخ، وهؤلاء الناس على وعد بالقوى الروحية التي يعتمد عليها وجودهم وتشهد على ذلك بقايا المعابد والهياكل وأماكن التضحية وتقديم القرابين والتماثيل

---

[1] - المرجع السابق ،ص198

الرمزية الصغيرة وتماثيل الآلهة وعادات الدفن .ومع ظهور الكتابة التي وجدت أولا في أورك او آرك حوالي سنة3000ق.م ظهر مصدر من الشواهد التي زودتنا بعدد مايقرب من نصف مليون وثيقة مكتوبة على الطين .ولقد طور السومريون خلال الالف الثالثة قبل الميلاد وجهات نظر كان لها تأثيرهاالأعلى معاصريهم من السومريين الأول فحسب ، بل على خلائفهم أيضا من البابليين والأشوريين والحثيين والعباسين وسكان فلسطين من الشعوب المجاورة الذين اعتنقوا معتقداتهم الأساسية وكان تصورهم الرئيسي في جوهره هو أن الكون يتسم بالنظام وأن كل ما يمكن أن يدركه الإنسان فهو انعكاس لتجلى العقل الإلهي ونشاط خارق للطبيعة والعناصر التي يتكون منها الكون عند السومريين هي السماء(آن)an والأرض ri وتبدو الآلهة الأخيار أشبه بقرص الغلاف الجوي ليلlil أو الروح[1].

ولقد اعتقد السومريون وفقا لما تقوله عقيدتهم الدينية،وقد بقي قائما في نصوص مفصلة منذ فجر العصر البابلي الاديم حوالي1900ق.م أن لكل موجود كوني أوثقافي قواعده وقوانينه الخاصة التي تجعله يستمر في الوجود إلى الأبد وفقا للحظة التي وضعها الإله الذي خلقه وهي تسمى(مهme) بالسومرية وهناك قائمة (مه) وتشمل السيادة الألوهية،التاج،العرش،الملك، الكهانة،الحقيقة الهبوط إلى العالم السفلي.وهناك قدر من الغموض في نظرة بلاد مابين النهرين إلى الموت والحياة الأخرى .

فالجحيم المظلم أرالوarallu أو الأرض الهائلةأو"دار الاشباح"[2] توجد تحت الأرض وتبلغها ارواح المتوفين عندما تعبر بالقوارب نهر خبرةhalour وينعكس هذا الأعتقاد على شكل

---

[1] – المرجع السابق ،ص198

[2] – ترجمة د/امام عبد الفتاح امام،مراجعة:د/عبد الغفار مكاوي، المعتقدات الدينية لدى الشعوب،صدرت السلسلة في يناير 1978باشراف احمد مشاري العدواني 1923–1990 مايو1993،ص11،

القوارب التي عثر عليها في بعض القبور ، نجد الملكة أريشكيجالarishigal وزوجها نرجالnergal مع حاشيتها من الآلهة والموظفين من صرعى الحروب بما في ذلك وزيرها أشروم وإلهة الكتابة بعلة صبريbeleterstim التي تقوم بتسجيل الداخلية وهؤلاء جميعا يحتاجون إلى طعام وملابس وأدوات شانهم شأن الآلهة الموجودة على سطح الأرض والبشر الذين يعيشون فوقها وتعتمد مرتبة المرء في العالم الآخر على نشاطه إبان حياته ويتولى الحكم على ارواح الموتى وإله الشمس الذي يمر بالعالم السفلي في السماء فيزودهم بالضوء الوحيد الموجود لديهم كما يحكم عليهم ايضاالإله ننار الذي يقرر نصيبهم.

وهؤلاء النزلاء يطعمون ويشربون مياها باردة من زقاق الماء وتلك مسؤولية الإبن الأكبر الذي عليه أن يقوم في فترات دورية بسكب السكائب تكريما للآلهة وتقديم ولائم جنائزية ليفيم أود سلاف فإذا ما رقد شخص ما أو روحه إيتمو بغير دفن أو حرمت من المساندة التي يقدمها الأحياء فإنها تطوف بهم وتعذبهم ويدفن الملوك كالعامة في مقابر أو أسفل مساكنهم وتضم القبور الملكية في أور2500ق.م مابين73إل74من الأتباع والموسيقيين كما تشتمل على هدايا من الجواهر وأواني وأدوات موسيقية ومزلجة للمدفن وحيوانات لتجرها وربما كانت هذه الممارسات من أصول غير سامية مستمدة من خارج بلاد ما بين النهرين ومشابهة لتلك الطقوس المعروضة في مصر وإن كانت تشير على كل حال إلى حاجة الإنسان للتزود بالمؤن من أجل الحياة في العالم الآخر.

ودلمون تعتبر جنة السومريين ليست مكان الأرواح الصالحين لان الحياة الأخرى لم تكن معروفة لدى السومريين وحالة الموت هي حالة أبدية يدخلها كل البشر بصرف النظر مما قدمت أيديهم في الحياة الدنيا حيث يدلفون إلى العالم الأسفل عالم الظلمة الأبدية في استمرارية ليست

بالحياة وليست بفقدان الحواس والشعور والإدراك .أما الجنة فهي مرتع للآلهة وقلة قليلة من البشر الذين انعم عليهم بالخلود.

تقرأ عنها في لوح آخر وصفا حيا،فهي مكان طاهر نظيف ومضيء حيث لاتنعق الغربان ولا تصرخ الشحة ولا يفترس الأسدولا الذئب وحيث لاتلتهم الحيوانات الزرع ولا يعرف أحد الآلام والمرض والعجز والشيخوخة حيث لامكان للحزن والبكاء[1].

أهم الآلهة.

آنو anu :إله السماء في الاصل هو الحاكم الأسمى والإله الرئيسي في مجمع الآلهة.

إنليل enlil :أصبح إلها بعدما هزمت مدينة نيبور المجاورة لمدينة أوروك وأصبح معبده الرئيسي في إيكور وهو المحسن والجد الذي يعزى إليه خلق للشمس والقمر وهو يمسك بالالواح التي سطرت فيها أقدار البشر جميعا.

مردوخ mardouk:استولى على مكانة إنليل و وظيفته وداخل بابل.

إينكي enki :إله العالم السفلي المعروف أيضا باسم ايا ea وتعزى إليه الحكمة كلها كان محبوبا من البشر ومن رفاقه الآلهة وعرف بخطط للآلهة ولهذا فقد كان اناس يعودون إليه ليستوضحوه بعض الأسرار الملغزة عليهم فأصبح بذلك راعي السحرة والحرفيين[2] .

---

[1] - محمد الطاهر سعدي،رحلة في عالم الاساطير السومرية،مطبعة سيبوس عنابة – الجزائر،ط1 2007 ،ص85

[2] – ترجمة:د. امام عبد الفتاح امام،مراجعة د / عبد الغفار مكاوي، المعتقدات الدينية لدى الشعوب،صدرت السلسلة في يناير1978 باشراف احمد مشاري العدواني 1923–1990 مايو ، ص ،ص14،13

بالحياة وليست بفقدان الحواس والشعور والإدراك .أما الجنة فهي مرتع للآلهة وقلة قليلة من البشر الذين انعم عليهم بالخلود.

تقرأ عنها في لوح آخر وصفا حيا،فهي مكان طاهر نظيف ومضيء حيث لاتنعق الغربان ولا تصرخ الشحة ولا يفترس الأسدولا الذئب وحيث لاتلتهم الحيوانات الزرع ولا يعرف أحد الآلام والمرض والعجز والشيخوخة حيث لامكان للحزن والبكاء[1].

أهم الآلهة.

آنو anu :إله السماء في الاصل هو الحاكم الأسمى والإله الرئيسي في مجمع الآلهة.

إنليل enlil :أصبح إلها بعدما هزمت مدينة نيبور المجاورة لمدينة أوروك وأصبح معبده الرئيسي في إيكور وهو المحسن والجد الذي يعزى إليه خلق للشمس والقمر وهو يمسك بالالواح التي سطرت فيها أقدار البشر جميعا.

مردوخ mardouk:استولى على مكانة إنليل و وظيفته وداخل بابل.

إينكي enki :إله العالم السفلي المعروف أيضا باسم ايا ea وتعزى إليه الحكمة كلها كان محبوبا من البشر ومن رفاقه الآلهة وعرف بخطط للآلهة ولهذا فقد كان اناس يعودون إليه ليستوضحوه بعض الأسرار الملغزة عليهم فأصبح بذلك راعي السحرة والحرفيين[2] .

---

[1] - محمد الطاهر سعدي،رحلة في عالم الاساطير السومرية،مطبعة سيبوس عنابة – الجزائر،ط1 2007 ،ص85

[2] – ترجمة:د. امام عبد الفتاح امام،مراجعة د / عبد الغفار مكاوي، المعتقدات الدينية لدى الشعوب،صدرت السلسلة في يناير1978 باشراف احمد مشاري العدواني 1923–1990 مايو ، ص ،ص14،13

الفصل الثالث

دراسة مقارنة بين ملحمة جلجامش و كتاب الموتى الفرعوني

الفصل الثالث

دراسة مقارنة بين ملحمة جلجامش و كتاب الموتى الفرعوني

الفصل الثالث : دراسة مقارنة بين ملحمة كلكامش وكتاب الموتى الفرعوني .

1- تعريف جيوميتا فيزيقية لغة واصطلاحا .

أ - **لغة** : فهي كلمة مركبة فجيو هو خليط من علمين وهو علم الجغرافيا ويشمل الطبوغرافيا أيضا(طبيعة الأرض) وعلم الإستراتيجية العسكرية وأهمية الموقع والجيو استراتيجي (وعلم) هو أساس كل التخطيطات العسكرية الإستراتيجية للجيوش وهي دراسة الإنسان وعلاقته الداخلية والخارجية على رقعة محددة من الأراضي وهي تعني الأرض [1]

والجغرافيا كلمة يونانية بمعنى صورة الأرض أو وصف الأرض [2]

واستعملت لأول مرة بمعنى علم الجغرافيا في رسائل إخوان الصفا وفسرت على أنها صورة الأرض وهو علم نتعرف منه على أحوال الأقاليم ،وعروض البلدان وأطوالها وعدد مدنها وبراريها وبحارها وأنهارها [3]

إما ميتافيزيقية فهو العلم الذي يدرس الأسس الأولى أو المبادئ الأولى التي تقوم عليه المعرفة الإنسانية وهذه الأسس هي أسس انطولوجية (مفهوم الوجود) وكزمولوجية (مفهوم الكون) ونفسية لاهوتية [4] ويرجع أصل الكلمة إلى الإغريقي Meta الذي يعني ما وراء أو بعد وكلمة Physika وتعني الطبيعة وتشير الكلمة إلى العلوم المختلفة عن الطبيعة والمادة في كتابات أرسطو في العصور القديمة .

---

[1] - www .one world masy peales .com.arabic

[2] - إسماعيل سامعي ،معالم الحضارة العربية الإسلامية ،ديوان المطبوعات الجامعية 10.2007 ص 255 .

[3] - حاجي خليفة ،كشف الظنون ،12، 890 .

[4] - باو مجارتن الكسندر جوتليت ، ميتافيزيقيا 1987 .

ب – اصطلاحا : فجيو تأخذ نفس تعريفها اللغوي لعدم توفر معناها الاصطلاحي إما ميتافيزيقيا فهي تتداخل بشدة مع كل فرع من فروع البحث الفلسفي ، كما أنها تهتم بدراسة أمثلة فلسفية تتعلق والبيئة العامة للعالم الذي نعيش فيه ، فعندما نتناول مشكلات فلسفية في علم النفس أو فلسفة الدين سرعان ما توجهها قضايا وأسئلة ميتافيزيقية [1] .

" الميتافيزياء " بلغتها الأصلية اليونانية معناها (ما بعد الطبيعة) وهو الاسم الذي أطلق على كتاب لأرسطو أو وجوده في الترتيب بعد كتاب (الطبيعة) ضمن جملة مؤلفاته التي جمعها (اندرونيكوس الرودسي) Andronicos de Rhodes الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد ويعتقد الكثير من الناس إن عبارة (ما بعد الطبيعة) الدالة على هذا العالم هو (الفلسفة الأولى) أو (الإلهيات) كما يسميها ابن سينا قد وردت في كتابه (الشفاء – قسم الإلهيات) للدلالة على العلم الذي يقابل (علم الطبيعة) فهو يقول " ومعنى (ما بعد الطبيعة) بعدية بالقياس إلينا ، فإن أول ما نشاهد الوجود ونتعرف عن أحواله نشاهد هذا الوجود الطبيعي ،وإما الذي يستحق أن يسمى به هذا العلم ، إذا اعتبر بذاته فهو أن يقال له علم (ما قبل الطبيعة) لان الأمور المبحوث عنها في هذا العلم هي بالذات وبالعموم قبل الطبيعة [2]

وكلمة ميتافيزياء لها معان مختلفة يتبين بعد فحصها إنها تتوزع بين فكرة (معرفة ضرب من الوجود) وبين فكرة (ضرب من المعرفة الخاصة بهذا الوجود) .

فقد تعني كلمة (ميتافيزياء) معرفة ضرب من الوجود لا تطليه سائر العلوم الأخرى ولا ترتفع إليه فتكون الميتافيزياء هي العلم لموجودات لا تدرك بواسطة الحواس مثل الله والنفس ...الخ .

---

[1] - www.or.wiki pechia.org/wiki

[2] – ابن سينا، نشرة الهيأة العامة لشؤون المطابع الاميرية القاهرة،1830 ه/1960،ص 21،22

أو تكون علما بما (يجب أن يكون) الذي هو ضرب من الوجود ارفع مما (هو كائن) ويبين سبب وجود ما هو كائن ، فلا تطلب الميتافيزياء عندئذ حقيقة عقلية بل حقيقة أخلاقية فالعلم لا يؤدي إلى الميتافيزياء لاختلاف موضوعيهما ومرتبتيهما بل هي توجه وبذلك تكون معرفة أعلى من المعرفة التي يقدمها ويتوصل إليها العلم لكن الميتافيزياء في مقابل ذلك لا يمكن أن تعطي العلم أساسه الذي يقوم عليه،لأن العلم يستند إلى الوقائع المعسوسة التي إذا ما تجاوزها لم يعد علما ، لأن الميتافيزياء تتجاوز مظاهر الوقائع المحسوسة التي إذا ما وقفت عندها لم تعد ميتافيزياء [1].

وقد تكون معرفة تحصل بواسطة الحدس المباشر للاشياء ولحقائقها ولعللها في مقابل النظر الذي يكون دائما بترتيب المعارف وجعل بعضها وسيلة للوصول إلى بعضها الآخر وفي هذا الصدد يقول (برغسون) (1889-1949 م) " إذا وجدت وسيلة للحصول على حقيقة بصورة مطلقة بدلا من معرفتها معرفة نسبية ولحدسها بدلا من تحليلها ، وأخيرا لإدراكها بعيدا عن كل عبارة وترجمة وتصور رمزي ،فتلك هي الميتافيزياء ، فالميتافيزياء هي العلم الذي يريد الاستغناء عن الرموز [2].

والميتافيزياء عند كانط Kant (1724-1804م) هي جملة المعارف التي يتحصل عليها العقل وحده عندما يتجاوز نطاق المعطيات الحسية كما تعرضها علينا الظواهر .

---

[1] - د محمود يعقوبي ، خلاصة الميتافيزيقيا ، دار الكتاب الحديث القاهرة /1422هـ/2002 م ص 12،13

[2] - Bergson, la pensee et le monsant ,introduction à la metaphysique inoensres p.u.f .1959.p 1396.

والعقل عنده هو ملكة المعرفة القبلية التي تحصل بواسطة المفاهيم (التصورات-المعاني) concepts دون اللجوء في ذلك لا إلى معطيات التجربة الحسية الخارجية أو الداخلية ولا إلى الحدوس الحسية التي لا يمكن أن تجري خارج إطاري الزمان أو المكان فتكون الميتافيزياء في نظر كانط متميزة من علم النفس التجريبي القائم على ملاحظة معطيات التجربة الباطنية ومن (الفيزياء) القائمة على ملاحظة معطيات التجربة الخارجية كما أنها متميزة من(علم الرياضيات) القائم على حدس الترتيب في إطاري للزمان والمكان وهي تتميز كذلك من(المنطق) لأنها ليست علما صوريا، بل الميتافيزياء علم ذو مادة خاصة هي عبارة عن موضوعات معينة، الميتافيزياء تحدد شروط وجودها بصفة قبلية مثل الله النفس والحرية فالميتافيزياء في نظر كانط هي النظر بواسطة العقل في وجود الله ووجود النفس ووجود الحرية من حيث هي موجودات يضعها العقل ويحدد شروط وجودها بصورة قبلية لأنها موضوعات تتجاوز نطاق عالم الظواهر[1].

[1] - حمود يعقوبي ،خلاصة الميتفيزيقيا ،دار الكتاب الحديث القاهرة 1422هـ/2002 م ص 18

2- نموذج من ملحمة جلجامش في العالم الأخر : رد جلجامش على صاحبة الحانة عندما سألته عن سبب ذبول وجنتيه ، وعلام تملك الحزن من قلبه وتبدلت وهيئته ولم صار وجهه أشعث كوجه من سافر سفرا طويلا وكيف نفع وجهه الحر والقر وعلام جهنم في وجهه في الصحاري فأجاب جلجامش صاحبة الحانة وقال لها :

كيف لا تذبل وجنتاي ويمتقع وجهي

ويملأ الأسى والحزن قلبي وتتبدل هيئتي

فيصير وجهي أشعث كمن أنهكه السفر الطويل

ويلفح وجهي الحر و القر وأهيم على وجهي في الصحاري

وقد أدرك " مصير البشر" صاحبي وأخي الأصغر

الذي صاد الحمد الوحشية والنمور في الصحاري

والذي تغلب على جميع الصعاب

وغلب خمبابا الذي يسكن في غابة الأرز

انه انكيدو و صاحبي وخلي الذي أحببته حبا جما

لقد انتهى إلى ما يصير إليه البشر جميعا

فبكيته في المساء وفي النهار

ندبته ستة أيام وسبع ليال

معللا نفسي بأنه سيقوم من كثرة بكائي ونواحي

امتنعت عن تسليمه إلى القبر

أبقيته ستة أيام وسبع ليال حتى تجمع الدود على وجهه [1]

فأقرعني الموت حتى همت على وجهي في الصحاري

إن النازلة التي حلّت بصاحبي تقض مضجعي

آه لقد غدا صاحبي الذي أحببت ترابا

وأنا سأضجع مثله فلا أقوم أبدا لامتي

ويبدأ الشق المهم من الملحمة عندما يلتقي جلجامش بروح انكيد ويحدثه عن أحوال العالم الأسفل

وعندما تظهر روح انكيدو كأنها هبة الريح يتعانق الصديقان واخذ جلجامش يسأل شبح صديقه

" اخبرني يا صديقي عن أحوال العالم الأسفل الذي رأيت

فأجابه صديقه

لن أقص عليك أخبار العالم الأسفل يا صديقي

وإذا كان لا بد من أخبارك فعليك أن تجلس وتبكي

فأجابه جلجامش : " سأجلس وابكي"

فأخذ شبح انكيدو يشرح له الصور القائمة التي وجدها للعالم الأسفل

" إن جسمي الذي كنت تلمسه يوم كان قلبك تغمره الأفراح"

يلتهمه الدود الآن كما لو كان لباسا خلقا

فصرخ جاجامش يا ويلتاه وتمرغ في التراب

صرخ (جلجامش) ورمى نفسه في التراب وخاطب شبح انكيدو

---

[1] - طه باتر ، تقديم محمد حسين الاعرجي ، ملحمة كلكامش ، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية الجزائر 1998 ،ص73 ،74.

هل رأيت الذي قتل في المعركة (؟)

اجل، لقد رأيت، أبوه وأمه يرصّعان رأسه.

وتنوح عليه زوجته [1]

هل رأيت من ترك جثمانه في البرية (؟)

أجل لقد رأيت إن روحه لا تجد الراحة في العالم الأسفل

هل رأيت من لا يوجد أحد يقترب لروحه

أجل لقد رأيت إن روحه تأكل من حثالة الأوعية وكسرات الخبز وفضلات الشوارع

هل رأيت الذي لا ولد له

أجل رأيته وطعامه التراب والطين

هل رأيت الذي خلف وراءه إبنا واحدا

أجل لقد رأيته وهو ممدد أسفل الجدار ويبكي بكاء مرا

والذي خلف إبنين هل رأيت

أجل لقد رأيته إنه يضطجع في بناء من الأجر ويأكل الخبز

هل رأيت الذي خلف ثلاثة أبناء

اجل رأيت ، انه يسقي الماء من زقاق ماء العمق

والذي له أربعة أبناء هل رأيت ؟

أجل شاهدته وهو فارح القلب

وهل رأيت الذي خلف خمسة أبناء

---

[1] - المرجع السابق ،ص ص ص،117،118

نعم رأيته وهو كالكاتب السعيد ويده مبسوطة ويسمح له بدخول القصر، ثم يسأله عن الذي خلف ستة وسبعة وثمانية ولكي يتقدم النص في الإجابة فلا يعلم حالهم في عالم الأموات ولكن بالقياس إلى قاعدة أن كثرة الأولاد مدعاة لرفاة الميت فلا بد أن يكون الجواب كذلك ، ومما لا شك فيه أن منشأ هذه القاعدة اضطلاع ذرية الميت بتقديم القرابين إليه ، وكان هذا من الأسس الملحمة في راحة الميت في عالم الأموات.

3- دراسة ملحمة جلجامش من حيث المضمون:

الملحمة أو EPIC مثال شعري رائع بنسيجه القصصي البطولي من خلال نضال شعب أو أمة بكل ما يحمل ذلك النضال من صراع ومآثر وقيم وتاريخ أسلوبا مجسدا أهمية الإنسان جماعة لأفراد علما إن الفردية أو الذاتية بمعناها هذا البطولي هي محور الملحمة بصورة عامة من خلال السرد وتمجيد الأعمال الخارقة أو الأسطورية بعيدا عن نقد الإنسان .. المجتمع فالأحداث تنمو وتتراكم وتتفاعل وتتصارع من الجماعة نحو الفرد ومن هنا امتزجت الروح الغنائية الشعرية بالروح الملحمية في هذا النمط أو الجنس الشعري ، ولاسيما في بداياته الأولى. فالشعر الملحمي لدى جميع الأمم، قبل أن يصبح مكتملا كان أناشيد تختلط فيها الغنائية بالملحمية أناشيد قصيرة ذات إيقاع سريع وقد يكون الشعر الغنائي عايش الشعر الملحمي لان كل منهما يتفق وجانبا معينا من جوانب الرغبات البشرية.

لاشك في أن أية ملحمة معروفة في تاريخ الآداب العالمية الشرقية والغربية كملحمة (كلكامش) العراقية القديمة التي يعتقد بعض الباحثين المختصين بالدراسات الاكدية والسومرية وآداب وادي الرافدين باحتمال تدوينها في العصر الاكدي بزمن سرجون لاثانى الأول الاكدي(2328-2269 ق م)أو في (2244-2207 ق م) وقد تكون في زمن ثاني ملك من سلالة اور الثالثة السومرية(2041-1993) علما أن أقدم نسخة وصلتنا من ملحمة (كلكامش) قد تم استنساخها في العصر البابلي القديم (1950-1880 ق م)كما أنهم مجتمعون تقريبا على أن زمن تدوين الملحمة يرقى إلى مطلع الألف الثاني ق.م، أي العهد المعروف في حضارة وادي الرافدين المصطلح العهد البابلي القديم(2000-1500 ق م)[1].

وقد تميز هذا العهد بحركة كبرى في التأليف والجمع والتصنيف في شتى صنوف العلم والمعارف والآداب والمرجع إن الملحمة صارت في شكلها النهائي بين العصر البابلي القديم

[1] - www.mzwa.com/articles.php!id=2735

والعصر الكيشي (2000-1200 ق م)[1] وعلى الخصوص في حدود (1250 ق م) على يد الجامع الذي رسمه بهيئته (شين-ليفي-ارتي)Sin.lep.unnimi إن هذه المراحل التاريخية ، الفنية هي التي تؤلف البناء الفني لأية ملحمة في الشعر الإنساني فالصراع والتوتر النفسي الذاتي والجمعي من خلال الأحداث التاريخية لأية أمة من الأمم هو تجسيد لمضمون الملحمة بكل ما يحمل ذلك المضمون من تناقض وتاريخ بين الروح الداتية أو الغنائية والروح الجماعية أو الاجتماعية [2]

إن هنالك سؤالا لا يمكن أن يفارق قارئ هذه الملحمة غير المتخصص لاسيما ان المتخصصين مروا عليه وكأنه لا يستحق الوقوف عنده فلم ثيره احد منهم .

هوائه : كيف يكون كلكامش بمثل تلك القسوة أقول إذا كان رد فعله إزاء موت صديقه انكيدو وهو ذلك ،وإذن فان كلكامش كان يعرف مصير البشر جميعا ولكن لم تتعمق هذه المعرفة في نفسه كما تعمقت بعد موت انكيدو الذي لم يدفنه عدم تصدقها لموته

ندبته ستة أيام وسبع ليال .

معللا نفسي ،لأنه سيقوم من كثرة بكائي ونواحي وامتنعت عن تسليمه للقبرفترتب على ذلك أن أصبح مصيره هو مصيرنا جميعا،وإذ يكون البطل جزءا منا وتكون أمنيته الت سنجيب في تحقيقها أمنيتنا تصير قيمته آلمنا جميعا مثلما كان طماحه نبلنا جميعا[3].

---

[1] - www.mzwa.com/articles.php!id=2735

[2] - المرجع السابق

[3] - طه باقر، ملحمة كلكامش ،تقديم محمد حسين الاعرجي ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية الجزائر ،1995،ص 21،22،23.

ولم تصرح الملحمة بكل ذلك وإنما نشرته بشكل خفي لا يكاد يلفت النظر هنا وهناك وهنالك ،وكأنها تريد أن توحي لا أن تقول.

فيتحول ذلك الصراع إلى صراع بين حضارتين أو ثقافتين أو فكرتين عميقتي الجدور في نفوس أبناء كل منهما ، حيث يولد ما اصطلح عليه بعالم الملحمة ،وهو العالم الذي يتميز فيه الفرد بكونه سحر بروابط قومية تشده إلى الطبيعة وهذا ما نلاحظه بوضوح في ملحمة كلكامش التي تستمد من الطبيعة العراقية القديمة الاكدية والسومرية والبابلية الجامدة والمتحدثة أكثر صورها الفنية بكل رموزها الحضارية ودلالتها الفكرية وسماتها الواقعية كالبطولة والجهاد والدين المصاحب لنشأة الحضارة ذلك الحس الذي لا يخلو من نظرة إنسانية شاملة ذات أبعاد فلسفية يتبوأ فيها الزمن المعناه الفكري والحضاري حيث يذوب الشاعر في أمته ،فتطغى الموضوعية على الذاتية (1) .

وبعامة فإن الأغلب الأعم أيضا من حوارات الشخصيات في هذه المصادر ومهما يكن المستوى الثقافي للشخصية أو تحصيلها العلمي يبدو وفاء طاهرا للفصيح من اللغة حتى ليكاد يرتفع في غير مصدر وفي غير موقع في المصدر الواحد ، فوق الإمكانيات المعرفية للشخصية[2] .

وهكذا جاء تطور شخصية البطل تطورا منطقيا محسوبا له تبعة لا يكاد ينبو منه شيء فيكون محل نقاش أو مثار خلاف وإلا فأي نبو أن يفجع المدى حتى وإن كان ملكا جبارا بعزيز فيراجع نفسه[1] ؟.

---

[1] - Id=2736 www.mzwa.com/articles.php?

[2] - د: نضال الصالح ، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة ؟،دار الالمعية للنشر والتوزيع ،ط1 2010 ، ص 309.

فتتوزع لغة السرد خطاب الأحداث في مصادر الدراسة بين غير مستوى جمالي أولا تكتفي اللغة فيه بإنجازها مهمتها التواصلية interperssonel وثان تتجاوز اللغة فيه هده المهمة إلى ما هو استعاري التائي يعنى .

بظلال الكلمات غيرعنايته بالكلمات نفسها ، وثالث تترجح اللغة فيه بين المستويين المشار إليهما آنفا وغالبا ما تتجلى هذه المستويات الثلاثة في النص الروائي الواحد وغالبا أيضا ما يتجلى المستوى الثاني من خلال النسق الأسطوري في النص [2] فيولد أسلوب الملحمة السردي القائم على القص فتتوهج المغامرات ذات الطابع الديني حينا أودلت الطابع البطولي حينا آخر أو الطابع البطولي حينا آخر ومن هنا يولد ما يصطلح عليه بشكل الملحمة من الناحية الفنية والأسلوبية فحين يتجاوز الوهم أو الخيال الزمن يصير واقعا ملموسا ويرتبط بالذات الأدبية بعدا فنيا مهما في هذه الذات حيث تكون جسدا مكانيا هو في حقيقة أمره وعاء للزمان لذلك فإن الصراع بين الحضارة والبداوة أو بين التخلف والتقدم هو في الواقع صراع بين أشكال زمانية في أوعية آنية مختلفة وهذا ما تكشفه أو تحاول كشفه الملحمة التاريخية والملحمة الوجدانية من خلال تفاعل أحداثها وتناقض صورها وتفاوت حركة أبطالهما فالقوة والثقة والمتعة الكونية إلى توقع الشعراء ولاسيما شعراء الملاحم نحو العالم قامت أيضا على الإدراك الحسي للزمن لا لكونه عاملا يؤدي إلى لا موت العدم بل لكونه اتجاها يقودنا نحو ضياء المستقبل فالزمن هو التغير الذي يجري في الحياة المرئية وغير المرئية

---

[1] - طه باقر ، تقديم محمد حسين الاعرجي ، ملحمة كلكامش ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية الجزائر 1995 ،ص 24.

[2] - د: نضال الصالح ، النزوع الاسطوري في الرواية العربية المعاصرة ؟،دار الالمعية للنشر والتوزيع ،ط1 20010 ،ص 323.

والعالم المتغير الذي تحاول ملحمة كلكامش تصوير بعض جوانبه المهمة ، هو عالم الأشياء المحسوسة عالم المظهر والتغيير المرتبط بالزمن ارتباطا جدليا عميقا فتحديد مفهوم الزمن أو المغزى الجمالي للملحمة كفن زماني أو ملحمة زمانية بمعناها النفسي والفكري في تصويرها للخوارق أو ما فوق إنساني مقبول للزمان وما نسميه بالذات أو الشخص او الفرد لا تحصل خبرته أو معرفته إلا من خلال تتابع اللحظات الزمانية والتغييرات التي تشكل سيرته ، إن الملحمة أية ملحمة يمكن أن تعد مصدرا مهما من مصادر دراسة الإنسان والمجتمع ومن هنا قيل أن الزمن في الأدب هو الزمن الإنساني [1].

وهذا ما يميز اللغة الأسطورية أنها على مستوى عال من الرموز و الايحاءات التي تتولد من خلال المعاني الأسطورية كما أنها تعتمد في الغالب على التشخيص والتجسيد وتراسل مدركات الحواس [2] فإن اللغة في خطاب الأحداث بخاصة في الأغلب الأعم من مصادر هذه الدراسة تحقق لنفسه هذه السمات كلها أحيانا أو أجزاء منها أحيانا ثانية فالنص ملحمة " كالكامش" نص عريق وهو أثر يخلقه مبدع ولكي نقف على روح الخلق والإبداع في هذا النص الملحمي يجدر بالباحث إن يقرأه من الداخل قراءة عميقة بعيدة عن الهامشية الذاتية والترهل السطحي يمكن أن نعد ملحمة كلكامش بمعناها الزماني أروع من الإلياذة وذلك لغتي ملحمة كلكامش بالصور (البدائية) الخيالية التي تفوق حدا لوهم وتتجاوز حد الحدس دون أن تبتعد عن الحقيقة – الواقع– في حين كانت الحقيقة رائد هوميروس في إليادته

---

[1] - www.mizwa.com/articles .php?id=2736

[2] - مبروك ،د مراد عبد الرحمن ، العناصر التراثية في الرواية العربية في مصر ،ص 212 .

فضلا على أن ملحمة كلكامش قائمة على عنصر المفاجأة والتغير أو إذا شئنا القول بلغة النقد الملحمي قائمة على عنصر تدفق الأحداث المتصارعة والمتفاعلة فيما بينها من خلال حركة التغيير القوية في إنشاء نصها محققة المقولة كي ترى أن لاشيء يدوم سوى التغيير علما أن هذا البناء الفني العريق في تأريخه قد أكسبها هذه الشهرة فضلا عن تمتعها بنكهة الزمان العراقي القديم بكل أجوائه وآمراته المختلفة وتطلعاته ونظراته إلى الوجود والكون عصرئد او ندرج على بناء شخصيته انكيدو فهو لا ينم عن تماسك فحسب وإنما يشيء بمعرفة النفس الإنسانية معرفة عميقة. فقد كان أنكيدو بدائيا متوحشا ينفق كل مالديه من قوة في مصاحبة الوحوش ، وفي مطاردتها ويبدد كل ما عنده من نشاط في ذرع الغابات وفي مسخها حتى بلغ من عمله أن عرف أن مساحة غابة الأرز تمتد مسافة عشرة ألاف ساعة في كل وجهة فكان عن كلكامش- وعلى والد الصياد من قبله- أن يبدد هذه القوة المتوحشة بحرويتها لتستحيل إلى عقل، فلم يجد إلى ذلك طريقا أمثل من المرأة[1].

فكلكامش وانكيدو بطلان يقفان ضمن مجرى التاريخ وكان يعيشان في وجود زماني وقد تجلى تأريخها ووجودهما الزماني في الصراع بين الحضارة والبداوة أو بين الاستقرار واللاإستقرار أو بين قيم المدينة والمدنية وقيم البداوة والانتقالية بين الأطر الاجتماعية الثابتة على أنها تقاليد حضارية والأطر البدوية العفوية التي ترى في الطبيعة أروع تقليد وأثمن تراث [(2)] .

---

[1] - طه باقر ، تقديم محمد سين الأعرجي ، ملحمة كلكامش ، المرجع السابق ص 25 .

[2] - www.mizwa.com/articles .php?id=2736

إن استقرار الصراع بين هدين الرمزين لم يحصل بسرعة ولم يهدأ إلا بعد توفر عنصر التكافؤ والتعادل الجسدي والمادي قبل عنصر التكافؤ والتعادل المعرفي .

هذا ما يلاحظ على بناء الشخصيتين الرئيسيتين في الملحمة ،أما الشخصيات الأخرى من مثل الآلهة : أنليل ،إيا ،ننسون وسواها ، ومن مثل الشخصيات الآدمية صاحبة الحانة ، الرجال ، العقارب،اورشنابي ،أوتو –نبشتم ،زوج اوتو –نبشتم فقد قدمت على أنها أو أن بعضها –بعبارة أدق– معرفة سلفا، فلم يعن عناية كبيرة برسمها ورسم أبعادها إلا بمقدار ما تكون في خدمة البطل ،وإضاءة جوانب حياته وبطولته وهواجسه .

وأريد أن ألاحظ على الحدث في الملحمة أنه كان يهيأ لانعطافاته بما يهيأ الذهن لتقبله إن لم يكن يهيئه لتوقعه ، وذلك من خلال الحلم

ومن خلال تفسيره ، ويمكنني أن أسوق على ذلك مثلا بصداقة انكيدو وكلكامش غير المنتظرة باعتبار ان أورو و قد خلقت انكيدو غريما لكلكامش إن لم يكن خصما وليس صديقا ، ولكن الملحمة هيأت أذهاننا لتوقع هذه الصداقة برؤيا رآها كلكامش وهو يقصها على أمه ننسون " يا أمي لقد رأيت الليلة الماضية حلما

رأيت أنني أسير مختالا بين الأبطال

فتفسيرها له أمه ننسون بأن الكوكب صديق وفي سيلازمه ولن يتخلى عنه وهكذا كان انكيدو لصديقه [1].

---

[1] - طه باقر ،ملحمة كلكامش ،المرجع السابق ص 252و 233.

على أن الرؤيا وتعبيرها هما الأسلوبان الوحيدان في الإيحاء بالحدث ، فقد رأينا كلكامش يقص رؤياه قبل لقائه بانكيدو ، وستزوره الرؤيا قبل مصارعة خمبابا ، وكذلك قبل لقاءه بجده اوتونبشتم، وستزور الرؤيا أنكيدو قبل موته نهيأ أدهاننا لما سيقع .

علما أن عملية التحدي كانت عملية تفاهم وتخاطب أصيلة وواقعية بين كلكامش وانكيدو فضلا عن كونها عملية استقطاب للفكر والوجدان الإنسانيين فقد وجد العراقيون القدماء في هذه المرحلة كل عزاء وسلوى في مغالبة مصائب الزمان ونكبات الدهر دونها الموت [1] .

ومن يقرأ الملحمة يدرك بيسر أن الزمن الذي استعمله الكاتب لم يكن زمن عاديا مألوف وإنما كان زمنا طويلا أسطوريا ، فغابة الأرز تمتد عشرة آلاف ساعة مضاعفة في كل الجهات والزمن الذي قطعه كلكامش في السفينة كان احد أيامه " يعادل شهرا وخمسة عشر يوما من السفر العادي " وإذ يعود مع أورشنابي بنية الخلود نراهما " بعد أن قطعا عشرين ساعة مضاعفة تبلغا بلقمته من الزاد ، وبعد ثلاثين ساعة مضاعفة توقفا ليبيتا الليل " وهكذا مما جعل ساندرز وهو على حق – يقترح ونحن نطالع " حادث الرحلة إلى الغابة والمعركة التي تلت ذلك على مستويات مختلفة من الحقيقة ... فالغابة غابة حقيقية لكنها كذلك مقر للقوى الخطرة المهلكة ومسرح لمغامرات عجيبة ثم هي غابة الروح المعتمة ومما يجعل الملحمة برمتها تقرأ على أكثر من مستوى وتؤول أكثر من تأويل مما يجعلها فضاء واسعا يذهب فيه الخيال كل مذهب .

المكتبة المركزية

[1] - www.mizwa.com/articles .php?id=2736

وإذا اختفى كاتب الملحمة كما هو شأن كل كتابها، وراء الأحداث، وهو يرتبها كان يتحين القاص تنسخ في هذا الحدث أو ذلك ليتخلى عن القص ، ويلبس مسوح الشاعر فيغنى غناء لا أعذب منه ، ولا أرقى [1].

حتى أن المرء يسأل إن كان الزمن قد توقف فبقيت حياة البغايا هي لم تتغير مند أربعة آلاف سنة أم أن الشاعر الملحمي قد التقط جوهر حياتهن الخالد على مر العصور ،فعرضه أسهل ما يكون عليه العرض دونما تهويل ، أو ألاعيب بلاغية ،وأعمق ما يكون العرض أيضا

أما خبرة أوتو- نبشتم بالحياة والموت وهو يعرضها على كلكامش بقوله :

" ... والفراشة لا تكاد تخرج من شرنقتها فتصير وجه الشمس حتى يحل اجلها

ولم يكن دوام وخلود مند القدم

ويا ما أعظم الشبه بين النائم والميت

ألا تبدو عليهما هيئة الموت ؟

ومن ذا الذي يستطيع أن يميز بين العبد والسيد إذا وافاها الأجل »؟!

ولا أريد أن أطيل في الوقوف عند الشعر الصافي في الملحمة – ولا في المقارنات فبحسبي منه رثاء كلكامش صديقه أنكيدو فرحته وبهجته ، وكسوة عيده ، وقصة الطوفان أي هي برمتها من خوالد الشعر ودرره.

وأريد أن أنبه إلى ما شبه إليه دارسوا الملحمة جميعا ، أعني التكرار فيها ، فأقول إن بعض التكرار فيها يبدو كما لاحظ الدارسون حقا ممل ،ولكن بعضه الآخر كما في بحث كلكامش عن

---

[1] - طه باقر ،تقديم محمد حسين الأعرجي ملحمة كلكامش ،ص 253

أوتو-بشتم ،وكما في رحلته خلال الجبل « يؤدي إلى زيادة التوتر ويفضي إلى الذروة » أي أن هذا التكرار يخرج عن طبيعته أسلوبا من أساليب الرواية الشفوية -قبل أن يكتب الملحمة - إلى أداء ذوره في الإتحاد ولعل هذا الدور هو الذي ساق الشاعر حيث يكرر أن يزيد وأن ينقص وفقا لما يرجوه من تأثير .

وبعد فأي مرارة خانقة يكمن في تجدد الأفعى ،وفي موت الإنسان ،وأية نهاية مأساوية وأي هوان ؟

صحيح أن الإنسان السومري -شأنه في ذلك شأن الإنسان المعاصر لم يوحيه تحتضر مثله (فسماها : أسد التراب) وإنما رأى ما يدل على تجددها وهي تنزع جلدها كل عام فآمن بخلودها ، ولكنه حيث جاء يعلل خلودها تكشفت له الحقيقة المرة ، وهي موت الإنسان وخلود الأفعى - وإن شئت فقل : سعي الإنسان على غير قصد إلى خلود الأفعى بعد أن سرقت منه خلوده فبكى « من أجل من ياور -شنابي كلت يداي ؟

ومن أجل من أستنزفت دم ...قلبي

لم أخفق لنفسي مغنما

أجل ، لقد حققت المغنم إلى أسد التراب... »

وإذا لم يرضى كلكامش بذلك ولم يرضى أيضا أن يخلد بأولاده كما نصحته صاحبة الحانة كان إيذانا أن يبحث عن طريق بكر لم يطرقه أحد قبله إلى الخلود، فتوصل إليه كما سبق - من طريق العمل والعمران والتطور فيهما حتى بنى حضارته [1]

---

[1] - المرجع السابق ،ص ص ص ص،30،32،33،34

يقول العالم " سبايزر" في تعليقه على طبيعة ملحمة جلجامش « إن ملحمة جلجامش تتعامل مع أشياء من عالمنا الدنيوي مثل الإنسان والطبيعة والحب والمغامرة ، والصداقة والحرب ... وقد أمعن مزجها جميعا ببراعة متناهية لتكون خلفية لموضوع الملحمة الرئيسي ألا وهو « حقيقة الموت المطلقة»... ولأول مرة في تاريخ العالم ، نجد تجربة عميقة بهدا المستوى البطولي بأسلوب شعري رفيع ، وهذا ما جعلها تنال إعجاب الناس في كل العصور ... »

تعد ملحمة كلكامش واحدة من أقدم الملاحم الأدبية في تاريخ الفكر الإنساني ، حاولت ربط مفهوم الزمن في ضوء ما كان يتصوره إنسانها عصرته بعالم التغير والتجدد والديمومة أو إذا نشئنا بعالم الحركة الذي كان يعيش بكل جزئياته وشعائره وطقوسه فقد حاول الإنسان بتصوراته التجديدية واجتهاداته التجريبية أن يخرج من (سقف التغيير) إلى (سقف الثبات) ويحيا في شباب دائم بلا شيخوخة ولا فناء وهذا ما حاولت الملحمة تجسيده من خلال أحداثها وصراعاتها ومغامراتها وخوارقها وأساطيرها سعيا وراء الخلود والشباب الدائم أي محاولة الهرب من الموت والفناء أو العدمية إلى البقاء والديمومة ، متخطية حلقة التغيير الحادث إلى حالة الشباب المستمر هي زمن الخلود والبقاء الذي يتحدى الفناء ، وهي مغامرة درامية مأساوية تكاد تكون رائدة في هدا المضمون الفكري الأدبي في تاريخ الملاحم الشعرية في العالم فبإستطاعة كلكامش أو أي إنسان آخر أن يخلد بأعماله ومآثره فيبقى ذكره ما بقي الدهر وذلكم هو الخلود المعنوي الذي يعكس الملحمة جانبا مهما وفعالا من جوانبه في حياة الإنسان [1] .

وقد نشأت ملحمة جلجامش الرافدية من أساطير عديدة جمعت كلها وصهرت فنيا شهور حول شخصية جلجامش المركزية [1] ومهما يكن من أمر نسبة بطل هذه الملحمة إلى التاريخ أو إلى

---

[1] - www.mizwa.com/articles .php?id=2736

الأسطورة [2] أو سواهما ، فإنها تعد مثالا ، على خلود العمل الفني الذي يتجاوز الزمان والمكان [3] ليس بسبب المكانة التي حازتها ، في الكثير من فروع الدراسات الإنسانية ، مند اكتشاف مدوناتها المتفرقة الأولى، فحسب بل بسبب المكانة التي حازتها في الكثير من النصوص الإبداعية والأعمال الفنية في مواقع مختلفة من الجغرافية الثقافية العالمية أيضا [4] .

وهكذا كانت رحلة كلكامش المضفية رحلة تمرد الإنسان على قوانين الآلهة الجائرة القاضية بالهجر والفراق والموت ، فكانت تمثل التراجيديا الإنسانية الأزلية المتعددة[5] ، وكانت رحلة بحث مضنيا مخلصا على المعرفة والحكمة والخلود وبكلمة واحدة كانت رحلة كلكامش رحلة الإنسان من حيث هو إنسان – في كل عصوره الماضية والآتية بغض النظر عن لونه ، وعرقه ووطنه .

وإذا كانت الرحلة تحمل كل هده المعاني ، فدلك هو بسبب خلودها وذلك هو الأدب الإنساني الخالد[6] .

---

[1] - هووك صمويل هنري " منعطف .... البشرية ، بحث في الأساطير" ص 42 ، المقداد ، ... " هندسة المعنى في السرو الأسطوري الملحمي ،جلجامش " ص 48 .

[2] - فراس السواح ، كنوز الأعماق ، قراءة في ملحمة جلجامش ص 26.

[3] – المرجع السابق ، ص12

[4] - د نضال الصالح ، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة ، المرجع السابق ص 183

[5] - طه باقر ،وخرسنين ، ملحمة جلجامش ، مجلة سومر ، الجزء الأول ، مجلد 5،ص 62،73 بغداد

[6] - طه باقر ، تقديم محمد حسين الأعرجي ، ملحمة كلكامش ،ص 34.

خاتمة

خاتمـــــة:

إذا كان لابد لنا من كلمة ختام نذكر فيها حوصلة ما قمنا به لنؤكد أن نهضة التطور ما هي إلا بداية طور من الاقتباس و الاخد عن الامم السابقة و العمل على صياغتها صياغة أدبية درامية نابعة من الواقع المعيش و ذلك بمقدور فهمهم و وعيهم لمجتمعهم وبيئتهم كما يمثل الوعي الثقافي المحصل لأفكار و نظريات و وجهات نظر الحس الاجتماعي و الديني لان الانسان كان ومازال لغزا محيرا و مثيرا للعديد من الاسئلة التى ما إن يستطيع العلماء الإجابة عن واحد منها حتى يتفجر أمامهم عشرات الاسئلة الاخرى التى ليس لها اجابة ، و الالغاز التى ليس لها تفسير، و بالفعل يجب على العلماء في هذا العصر الاهتمام بما يسمى "علم العقل" و ان كنا نشك في مقدرتهم على الإلمام التام بغياهيب هذا العقل و خباياه ، فالحياة ما بعد الموت ظلت و مازلت لغزا محيرا و لكنهم لاشك سيفجرون العديد من الاسئلة و المفاجآت و الحقائق التى كانت تعد في ما سبق نوعا من الخيال العلمي، و سيرهنون مع كل اكتشاف لهم على مقدرة الله و وحدانيته سبحانه و تعالى.

ان استلهام التراث الأسطوري و العودة اليه دعوى الى تأصيل العالم البدائي و استلهام هذه الشخصيات و توظيفها يتناسب و العصر البدائي و همومه وجهله العلمي ، وبرغم الانتقادات هنالك كم كبير للوثائق ذات الصلة بالموضوع ، وهي دراسات متعلقة بالاعراف ، بالنظريات الدينية للآخرة او لتوضيحات فلسفية . عدة تقاليد و اتجاهات فكرية ساهمت بكم من الوثائق كالشامانية اللامئية ، الروحانية البلافاشكية و الفلسفة البشرية .

إننا في الوقت الذي نقدم هذه الدراسة لانعتقد جازمين بأننا قد أعطينا الموضوع حقه فهو بحث متواضع ، أحببناه رغبة في اسهاماتنا في خدمة تراثنا الحضاري و الفكري ان نقدم هذه الدراسة

كجزء من متطلبات درجة الليسانس علما باننا نعلم سلفا مبلغ المسؤولية العلمية و التاريخية الملقاة على عاتقنا ،و التى حاولنا جهد ما نستطيع ان نكون امناء على تحملها و ايراد النصوص و الروايات و تثبيت مصادرها كما يجب ، و مع هذا فاننا لم نستطيع تحقيق كل ما نصبوا اليه فقد يكون جهدنا في ذالك مقتصرا على جمع ماهو مشتت في بطون و امهات تلك المصادر لنفتح بابا جديدا من ابوابه دراسة الملاحم و معرفة خبايا العالم الاخر.

واذا كان في هذه الدراسة موضع خلل ، كبيرا كان ام صغيرا فاننا لا ندعي الكمال مادام النقص يلازم الاناس وما الكمال الا لخالقه و حده ، وفي الختام فانه لا يسعنا الا ان نتقدم بشكر الجزيل لكل من ساعدنا و شجعنا على اخراج هذه الرسالة الى النور ليستفيد منها كل طالب علم ونسأله تعالى ان يوفقنا الى سبيل الارشاد و العلم و اخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيد الانام و على اله و صحبه الاجلاء و الكرام و رحمة منه و بركاته.

ولم يبقى لنا سوى ان نحمد الله عزوجل و نشكره على اعانته لنا في انجاز هذا البحث فان وفقنا فمن الله و ان اخطانا فمن انفسنا و غير ذالك فحسبنا اننا اجتهدنا.

1-د/ اسماعيل سامعي ،معالم الحضارة العربية الاسلامية

2-د/ امام عبد الفتاح امام ، مراجعة د/ عبد الغفاري المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، صدرت السلسلة في يناير 1978 باشراف احمد مشاري العدوني 1923 -1990 مايو 1993

3-تقديم جوسي ارو ، ترجمة د/ حسن هيثم الطريحي ، مراجعة د.محمد سعيد الطريحي ، النبوات البابلية

4-خزعل الماجدي ، الدين المصري ، ط1 ، الاصدار الاول 1999

5-ا.د/ سالم المعوشي ، الادب و حوار الحضارات المنهج و المصطلح و النماذج

6-د. سامي ريحانا ، العميد الركن ، شعوب الشرق الادبي القديم،نوبلين

7-سلمان رجب سيد احمد ، فن التحنيط لدى قدماء المصريين ، ايتراك للطباعة و النشر القاهرة ط1، 2005

8-سيف الدين الكاتب، اطلس التاريخ القديم ، دار الشرق العربي بيروت لبنان الاصدار الثالث 1430 ه -2009 م ،طبعة جاصة بدار العزة و الكرامة للكتاب بالجزائر

9-د/ شارن شافية، حضارة مصر الفرعونية ، ديوان المطبوعات الجامعية 2005-2009

10- طه باقر ، تقديم محمد حسين الاعرجي ، ملحمة كلكامش ، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية الجزائر 1995

11- طه باقر ، تقديم محمد حسين الاعرجي ، ملحمة كلكامش، صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر صحة الثقافة العربية 2007.

12- د.فضيلة عبد الرحيم حسين ،فكرة الاسطورة و كتابة التاريخ دار اليازوري العلمية للنشر و التوزيع ، عمان الاردن 2009.

13- مجموعة من المؤلفين ، المعرفة المجلد 2، شركة انماء للنشر و التسويق ، الشركة الشرقية للمطبوعات 1987.

14- أ. محمد الطاهر سحري ، رحلة في عالم الاساطير السومرية ، مطبعة سيبوس عنابة الجزائر.

15- د- محمد يعقوبي ، خلاصة الميتا فيزياء ، دار الكتاب الحديث القاهرة ، 1422ه - 2002م .

16- د- مهدي البصري ، موسوعة الاديان ، دار اسامة للنشر و التوزيع الاردن عمان ط2.

17- موسوعة المعرفة المدرسية ، الانسان يتحضر و يحارب ، نشر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة 2008 في اطار الصندوق الوطني لترقية الفنون و الادب.

18- نضال الصالح ، النزوع الاسطوري في الرواية العربية المعاصرة، دار الالمعية للنشر و التوزيع ، ط1 2010 .

19- ول وايريل ديو رانت ، تقديم الدكتور محي الدين صابر، ترجمة الدكتور زكي نجيب محفوظ،ج2 من المجلد1 .

20- www.one world many peaces. Com. Arabic

21- www.or . wiki gecha. Org/ wiki

22- www. Mizwa.com/articles. Phy ! id=2736.

الفهرس

مقدمة .....أ

مدخل.....5

الفصل الأول : وصف العالم الآخر في ملحمة جلجامش

1- سر الخلود عند جلجامش وسعيه وراء الخلود.....15

2-البعد الاخلاقي.....32

3- البعد التاريخي.....39

4- البعد الديني 41

الفصل الثاني : وصف العالم الآخر في كتاب الموتى الفرعوني

الاسكاتولوجيا المصرية والعقائد الجنائزية (عقائد ما بعد الموت).....46

1- سر الخلود عند الفراعنة.....52

2- البعد الديني.....60

3- البعد التاريخي

3-1 المعتقدات والآلهة او المعبودات.....67

3-2 التحنيط وفلسفة التاريخ.....70

3-3 التحنيط وقوة الدين..... 70

3-4 طبيعة الانسان لدى المصري القديم.....71

3-5 -1) ثالوث مابعد الموت

أ- الروح الابدية.....73

ب- سا (الشخصية الوقورة للميت، الجثة المحنطة).....73

ج- خابيت.....73

2) الثالوث الابدي(الذي لا يزول ابدا).....73

أ- خت(الجسم المادي).....74

ب-آخ(الجسم الروحي).....74

3)المقاصير المنحوتة في الصخرة.....74

4- العالم السفلي.....75

الفصل الثالث:دراسة مقارنة بين ملحمة كلكامش وكتاب الموتى

1- تعريف جيوميتافيزقية لغة وإصطلاحا

أ- لغة:.....79

ب- إصطلاحا.....80

2- نموذج من ملحمة جلجامش.....83

3- دراسة ملحمة جاجامش من حيث المضمون 87

خاتمة.....99